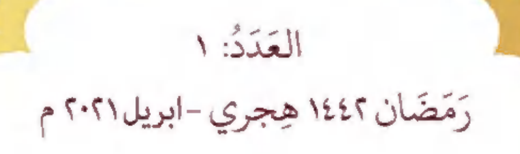

العَدَدُ: ١

رَمَضَان ١٤٤٢ هِجري - ابريل ٢٠٢١ م



مجلّة سُنِّية صوفيّة الكترونية تصدر عن

مؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والاجتماعية

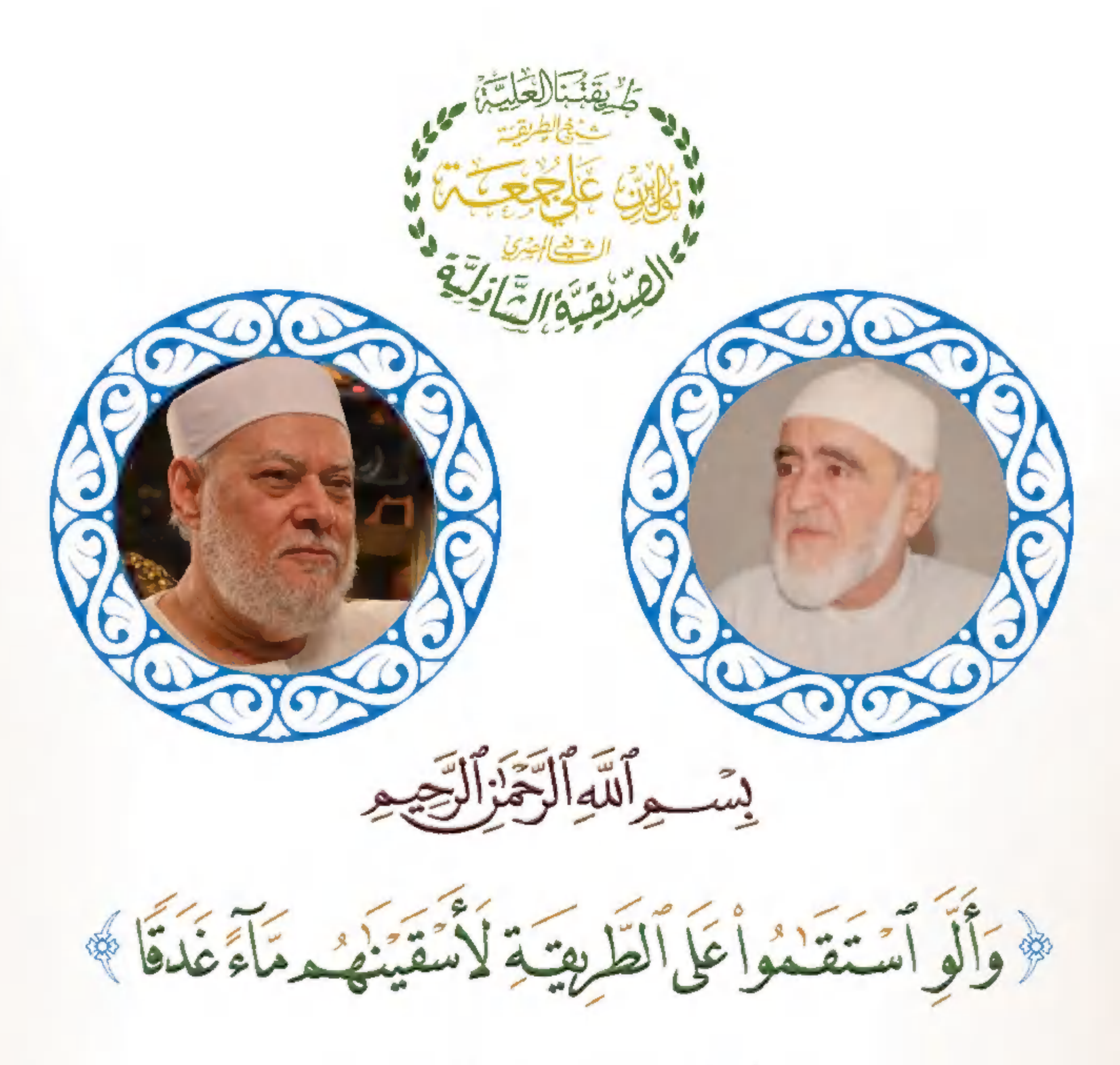


تحت اشراف

الأستاذ الدّكتوْر علي جُمعَة

عُضو هيئةِ كِبار العُلماء بالأزهرِ الشَّريف





بسم الله الرحمن الرحيم

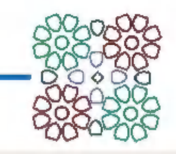
﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾

مجلّة سُنِّية صوفيّة الكترونية تصدر عن

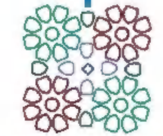
مؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والاجتماعية

الـمشهرة برقم ٩٣٢ لسنة ٢٠٢٠

المحتويات



العدد: ١ - رمضان ١٤٤٢ هجري - ابريل ٢٠٢١ م





١ افتتاحية العدد

أ.د/ عَلي جُمُعَة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

شيخ الطريقة الصديقية الشاذلية

facebook.com/DrAliGomaa

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد، فاللهم اشرح صدورنا وأعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، واجعل اللهم القرآن الكريم ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وأحزننا ونور أبصارنا وصدورنا، واجعله حجة لنا لا حجة علينا، يا ربِّ علِّمنا منه ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وانصرنا بالحق، وانصر الحق بنا.

اللهم أنزل علينا السكينة، اللهم افتح علينا فتوح العارفين بك، واسلك بنا الطريق إليك، سهل أمورنا ويسر غيوبنا واشرح صدورنا ونور قلوبنا، واحشرنا تحت لواء نبيك يوم القيامة، واسقنا من يده الشريفة شربةً ماءً لا نظمأ بعدها أبدا.

اللهم أدخلنا الجنة من غير حساب ولا سابقة عقاب ولا عتاب، كن لنا ولا تكن علينا، وارحم حينا وميتنا وحاضرنا وغائبنا واهدنا واهد بنا واجعلنا على سنة نبيك إلى أن نلقاك.

اللهم جاز عنا سيدنا النبي خير ما جازيت نبيا عن أمته ورسولا عن قومه، آمين آمين.

هذا أول عدد من أعداد المجلة الصديقية، وأردنا بهذه المجلة أن تكون شعاع ضوء للسالكين، تبين لهم ما يتعلق بالتصوف من مفاهيم وقضايا ولن تكون الكتابة فيها أكاديمية صرفة، بل سيكون الغرض الأساسي منها التقريب والتيسير، وأحبب أن أفتتح هذا العدد ببعض المعالم المهمة.

المعلم الأول: **مفهوم السواد الأعظم، وفرقة الأشاعرة، وأهل السنة والجماعة، وطريق التصوف.**

مما من اللهُ به علينا أن جعلنا من أمة المصطفى، ومن الله به علينا أن فهمنا بعض مراده في تزكية النفس وفي عمارة الدنيا من خلال عبادة الله، ومن الله علينا بأن نتبع أهل السنة والجماعة، وهم ما عليهم السواد الأعظم من أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:«إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ»[1].

وفي رواية من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي – أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ»[2].

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حددَ لنا الأمر، فقال في كلامٍ لسيدنا جابر رضي الله عنه في معرض الوصية: «الثلث والثلث كثير»[3].

فلما كان الثلث كثير أصبح الثلثان الأكثر، والثلثان ٦٧٪ والثلث ٣٣٪، وهذا الثلث ثلثه كثير؛ أي ١١٪، فنصل إلى ١١+٦٧ = ٧٨٪، وهذا هو السواد الأعظم، فإذا صار ٨٠٪ كان سوادا أعظم، ولو أصبح ٩٠٪ لصار أعظم، وإذا وصل إلى ٩٥٪ أعظم والحمد لله.

وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة حيث يمثلون أكثر من ٩٥٪ من أمة سيدنا محمد عبر القرون ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إذا ذكرت الإمام الغزالي(أو القشيري أو الشافعي أو مالك، وإذا ذكرت أمام الناس عبد القادر الجيلاني أو الإمام أحمد، والأوزاعي، والشاذلي، الرفاعي، فجمهور الأمة على اتباع هؤلاء الأفاضل، ومن هؤلاء كان إمامنا الشافعي صاحب مصر، وقد منَّ الله على هذه البلاد أن أتى إلى هذه البلاد؛ لدراسة مذهب الإمام الليث بن سعد فقيه مصر، والذي كان الشافعي يقول فيه: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به"[4]، أي: لم يخدموا مذهبه، لكنه كان يدك إدراك مالك ويزيد.

والإمام مالك هو: «مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي الحميرى ، أبو عبد الله المدنى الفقيه، المتوفى سنة ١٧٩هـ»[5]، إمام أهل المدينة،وقال: «ما تصدرت حتى شهد لي سبعون من أهل المدينة، من علمائها»[6].

المعلم الثاني: **طريقنا مقيد بالكتاب والسنة، وأصله حديث جبريل:**

فطريقنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فطريقنا إلى الله يرجع إلى كتاب الله لا يعرف سواه، وإلى سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بفهم الأكابر عن الأكابر عن الأكابر إلى منتهاه، ومنتهاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما أراد مسلم أن يجمع صحيحه صدره بحديث جبريل يرويه عمر بن الخطاب يقول فيه: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٩٥٠.
(٢) أخرجه الترمذي ٢١٦٧.
(٣) أخرجه البخاري ١٢٩٥، ومسلم ١٦٢٨.
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ١٥٦/٨.
(٥) انظر ترجمته في: ترتيب المدارك، وتقريب المسالك للقاضي عياض، ١٠٤/١.
(٦) المرجع السابق: ١٤٢/١.

وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَالَ أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ.(١)

وفي قول راوي الحديث: «لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ فتعجبوا، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ»هذه هيئة تسمى عند العلماء هيئة المتأدب المتعلم، فجلس بين يدي النبي يتلقى العلم. وفي بعض الروايات أنه كان أشبه ما يكون بدحية الكلبي، وكان دحية يعمل في دولة سيدنا رسول الله سفيرا، أي دبلوماسيا حيث أرسله إلى المقوقس في مصر، وكان دحية جميلا.

وكانت الصحابة تستحي وتهاب رسول الله أن تسأله، فلم يسألوه كفاحا (لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)، فكانوا ينتظرون الأعرابي العاقل يأتي من الخارج كي يسأل سيدنا وهم يستمعون فيتعلمون، فإنها فرصة لهم.

فلما وجدوا هذا الغريب يسأل جلسوا يستمعون لما يقوله، وبماذا سوف يرد عليه سيدنا رسول الله فسأله الأسئلة الموجودة في الحديث.

وقوله: «فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ» فكأنه يراقب أيضا،وكأن الصحابة يقولون أمر عجيب فهو ليس من هنا.

فأنشأ المسلون من هذا الحديث العلوم، وعرف العلماء أن هذا الحديث حديث جامع، وأنه يشتمل على تعليم الله لنا علوماً، منها الإسلام، فقام طائفة من العلماء يحمون الإسلام، ويتكلمون في الأصول والفروع والفقه والأحكام حفظاً للعبادات والمعاملات وسائر الأشياء. ومنهم من اختص بالدفاع عن العقيدة في الإلهيات والنبوات والسمعيات.

المعلم الثالث: **توليد علم التصوف من حديث جبريل، ومنه خرج برنامج الصوفي اليومي:**

ومنهم من اختص في رسم طريق إلى الله سبحانه وتعالى على مقتضى الكتاب والسنة، فنظروا كيف المسير إلى الله، فوجدوا أن السير إلى الله إنما هو بالذكر والفكر، قال تعال: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) فاهتموا بالتخلية للقلب من كل قبيح وبالتحلية بكل صحيح واهتموا ببناء الإنسان واهتموا بما اهتم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وبدأوا يتدبرون القرآن من داخل هذه الأمر، فوجدوا أن الله تعالى يصفه بقوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)، وبحثوا في السنة فوجدوا أن تراث النبي الذي تركه لنا في أغلبه يتكلم عن هذا، لأن هذا هو غرض الدين الأهم (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) وقسَّمُوا الناس على هذا بعد ما أدركوا الواقع وأدركوا الكتاب والسنة إلى خواص وعوام، وخواص الخواص (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)، فما من همسة أو لمسة كتبها أهل هذا الفن الشريف المنيف إلا ولها دليل في الكتاب أو السنة أو فعل الصحابة أو الأئمة الأعلام،

(١) أخرجه مسلم .

وساروا تحت مظلة الكتاب والسنة لا يحيدون عنها ويدركونها ويضعون البرامج لتنفيذها في حياة الناس.

كان في بادئ الأمر يعيش الإنسان في هذا الجانب حياة روحية عالية، وظل في القرون الثلاثة الأولى شائعا في الناس جميعا حيث قال فيهم رسول الله (خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)[1] ففي هذه الأجيال الثلاثة والقرون الثلاثة ظهر من ظهر من الأئمة الأعلام، وكانوا زاهدين في الدنيا، وكانوا يدعون ربهم (اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا) ووضعوا تلك العبارات وأشاروا إلى تلك الإشارات..

وضعوا تفسيرا للقرآن والسنة ولكيف يتحول البرنامج اليومي للإنسان إلى ذكر وفكر، فألفوا عمل اليوم والليلة، وألَّفوا اذكار الصباح والمساء، وسُمي هذا الجانب في عهدهم بالزهد، ولم يكن الزهد هو الفقر بل كان أن الدنيا في يدك فلا تتركها، ولا تحزن على المفقود ولا تفرح بالموجود وربك رب قلوب علام الغيوب.

ساروا هكذا حتى نضجت العلوم ودُوِّنَت، فدون الفقه والتوحيد والأصول وعلوم للحفظ والنقل في التفسير والحديث دراية ورواية، فدونوا هذا العلم على يد أبي طالب المكي صاحب قوت القلوب، وأبي نعيم الأصبهاني صاحب حلية الأولياء، وعلى يد عبد الكريم القشيري صاحب الرسالة القشيرية، وعلى يد الإمام الغزالي حجة الإسلام صاحب إحياء علوم الدين، وأخذوا في التدوين فدخلوا فيما يسمى بالتصوف السني، فأصلوا الأصول، وقعدوا القواعد ووضعوا المصطلحات، وانتشر الإسلام من الأندلس إلى الصين، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ومن ديانات سابقة لهم فيها تجربة روحية مع الإنسان ومع الأكوان ومع الرحمن، وأرادوا بعد ما دخلوا أن يكون ذلك منضبطا بمصدري الوجود: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) رأيناهم وهم يتكلمون عن كتاب الله الأكبر وكتاب الله الأصغر ..«كتاب الله المسطور وكتاب الله المنظور»، رأيناهم وهم يعرضون تجاربهم وعلومهم ومعارفهم على الكتاب والسنة، وقال شيخ الطريقة الجنيد: «علمنا مقيد بالكتاب والسنة».

وكل هذا حتى يكون هناك مرجعية، فيحدث الانضباط والاستقامة.

المعلم الرابع: **انتشر الإسلام بأخلاق أهل الله ومعاملاتهم مع الناس.**

كان الإسلام ينتشر عندما كان فيه تطبيق عملي بعيدا عن ألاعيب السياسة، فانتشر في مصر عن طريق السيدة نفيسة العلم حيث كانت متوجهة إلى الله مخلصة لله، وجاءت جارتها اليهودية ولها ابن مصاب بشلل أطفال، فتركته عندها حتى تذهب إلى الأسواق تقضي حوائجها، فقامت السيدة نفيسة عليها السلام تتوضأ، فلما توضأت انثال الماء على الأرض حتى وصل إلى البنت، فداعبت الماء بقدميها، فحدث ما أراد الله به أن ينتشر الإسلام حيث قامت السيدة تصلي والبنت من فرحها جرت على بيت أمها، وعند عودة الأم، وجدت البنت تستقبلها فلم تعرفها، حيث كان تجري، فلما تأكدت من أنها ابنتها ذهبت إلى السيدة نفيسة فوجدتها قد انتهت من صلاتها، وهي فرحة ببنتها التي شفت على يد السيدة نفيسة، فدعت لها، ولم تقل لها شيء فيه إساءة أو اتهاما بالكفر وخلافه، بل قامت بالدعاء لها. وكانت هذه المرأة زوجة رأس الديانة اليهودية في مصر ، فلما جاء حكت له، فقال لها إن هذا هو ما ننتظره، فهناك علاقة مع الله،ومن ثم كان الله راضيا عن هذه السيدة أن جعل البركة في ماء

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٠٢.

وضوئها وأن جعل البركة تحل علينا، فهذه إشارة، فاسلم وأسلم معه يومئذ سبعون ألف من اليهود.

ولا غرابة في ذلك لأن الإسلام انتشر لما رأى الناس أهل الله وعاش أهل الله وسطهم، فهل رأى الناس اليوم هذا الصدق وهذا التأييد، وهذه المعونة الربانية الإلهية وتجليات الله لهم في عصور التقوى أو أن الناس منشغلة بالدنيا وما فيها وبحطامها، ولم يصلوا إلى حطامها، ولا إلى تركها فخسروا الدين والدنيا معا.

حدث مثل هذه المواقف مرارا وتكرارا، فكان هناك أحد العلماء الحافظين لكتاب الله تعالى إلا أن صوته لم يكن جميلا، وكان اسمه ابن خياط، وكان من إتقان التجويد إذا قرأ بالناس في الصلاة تسَمَّع عليه غير المسلمين بالرغم من عدم حلاوة صوته، لكن القرآن يخرج حلوا من الإتقان، فأسلم على قراءته سبعون ألفا.

كل هذه الأمور موجودة في الكتب، والناس لا تريد أن تصدق فهي بالطبع مبالغات، ولكنها حقائق، فتراهم يكذبون ويشككون، ويقول لك لم نحضر مثل هذه الأمور فكيف نصدقها، فيعيشون بالشك.

هذا هو الذي حدث بالفعل، أن الإسلام انتشر بالأخلاق والدعاء والمعاملة الطيبة والعلم، والحكم، والعائلة وبوسائل كثيرة حتى دخل الناس في دين الله أفواجا (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ).

المعلم الخامس:**التصوف مبني على الإسناد والتلقي.**

أول من بدأ هذا الطريق تلقينا من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه، ومنهم سيدنا جابر الأنصاري ومنهم سيدنا أبو بكر الصديق.

وسيدنا علي هو الذي قام بتربية الحسن البصري لأن الحسن البصري تربى في بيت السيدة أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها، لأن أمه كانت تخدم السيدة أم المؤمنين. وتعلم الحسن عند سيدنا علي، وروى الحسن عن سيدنا علي، والبعض يظن أنه سيدنا الحسن الكبير أصل السادة (وأولاد سيدنا الحسين نقول عنهم الأشراف، وأولاد السيدة نقول عنهم الأسباط) وهذا خطأ لأن المقصود هنا في السند هو الحسن البصري (البَصْرِيّ، وكذلك البِصْرِيّ).

فالحسن البصري تعلم على سيدنا علي، وألبسه سيدنا علي الخرقة، وروى الحسن البصري عن سيدنا علي سند التصوف، وهذا هو الذي وصلنا كابرا عن كابر إلى عصرنا هذا.[1]

هذا بالنسبة لبعض المعالم التي أحببت أن أنبه عليها في هذه الافتتاحية.

اللهم صل أفضل صلاة على أسعد مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.. اللهم آمين آمين رب العالمين.



(١) للحافظ السيوطي بحث جيد حول الخرقة في كتابه:" تأييد الحقيقة العلية، في تشييد الطريقة الشاذلية.



معلوم أن التوسل هو الأخذ بالأسباب والوسائل لتحقيق المراد، والوسيلة هي الطريق والسبب الموصل للنتائج، فالأسباب جعلها الله في الدنيا في ظاهر الأمر مرتبطة بالنتائج بحيث إنه قد يظن المتسرع أنها فاعلة ومؤثرة بقوة فيها لتتحقق النتائج بها بعلاقة العلة لمعلولها، فيظن أن النار تحرق بذاتها، وأن الماء يغرق من غمره أو يروي العطشان بقوة فاعلة فيه، وأن الدواء يخلق الشفاء من الأمراض عند تناوله، والسكين تذبح بقوة فيها كامنة فاعلة، ولكن المؤمن يدرك أن الله هو الفاعل والخالق والمدبر والمؤثر وأنه لا حول ولا قوة في شيء في الأكوان إلا بالله ومن الله، عَلِمَ أن قدرة الله هي الفاعلة حقيقة في الأسباب والمؤثرة في ظهور النتائج على وفق الإرادة ا لإلهية، وأن الأسباب نقاب وحجاب احتجبت به القدرة الربانية في عالم الدنيا حكمة إلهية؛ ليحجب الله بها فعله وقدرته عن أهل الحجاب من الكفار فيعتقد فيها ويعتمد عليها ويظن أن فيها قوة كامنة فاعلة وأنها علة للنتائج المترتبة عليها.

أما أهل الإيمان، فإنهم يعلمون ببصائرهم أن الله ما خلق الأسباب وربطها بنتائجها إلا اختبارًا لهم فيؤمنون بأن من ورائها فاعلًا قادرًا مدبّرا مريدًا، وبالتالي نفوا بإيمانهم عن الأسباب أن فيها قوة كامنة تنفع وتضر أو أنها علة لنتائجها ولكن، أخذوا بها تعبّدا لخالقها لإظهار افتقار العبودية وحاجتها؛ لتناولها دون الاعتماد القلبي عليها أو الثقة فيها بل اعتمادًا على خالقها بالقلب وأخذًا بها بالجوارح والعقل.

ولذا قال سيدي أحمد الدردير في الخريدة البهية في علم التوحيد:

وَمن يقُل بالطبع أو بالعلة ... فذاك كفر عند أهل الملة
ومن يقُل بالقوة المودعة ... فذاك بدعي فلا تلتفت

فالله يخلق النتائج عند تناول الأسباب وقد يخلقها بغير سبب إذا أراد، فيخلق الشبع عند تناول الطعام وهناك من يأكل ولا يشبع، ويخلق الارتواء من العطش عند شرب الماء وقد يشرب العطشان ولا يرتوي، كما يخلق الشفاء عن تناول الدواء وقد لا يشفى، ويخلق الذرية عند تزاوج الذكر والأنثى وقد يجعل من يشاء عقيما، ويخلق الرزق عند السعي وقد يسعى ولا يرزق ، ويخلق النصر عند الأخذ بالقوة والحيطة وقد ينصر الضعيف، إذا أراد «وما النصر إلا من عند الله» وهكذا في سائر النشاط الإنساني في الدنيا، ولو كانت الأسباب علة لنتائجها ما انفكت النتائج عنها، فلا فاعل إلا الله سبحانه ولا خالق غيره وهذا كله كامن في قول لاحول ولا قوة إلا بالله التي هي كنز من كنوز الجنة التي هي جنة المعرفة بالله في الدنيا وجنة المأوى في الآخرة، كما أخبر المعصوم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أمرنا سبحانه وتعالى في كتابه بالأخذ بالوسائل والأسباب التي تكون في ظاهرها سببًا لطاعته في الدنيا والنجاة من عذابه في الآخرة. وأيضا سببا للحفاظ على أرواحتنا وعافيتنا في دنيانا تعبدًا له فقال سبحانه: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله، فالتوسل والوسيلة أمر قرآني تعبّد الله به المؤمنين في الدنيا سواء كانت هذه الوسائل لتأمين حياتهم في الدنيا من مأكل وملبس ومسكن، وزواج لتحصيل الذرية، وسعي في الأرض لطلب الرزق، وغير ذلك من النشاط الإنساني، أو كانت وسائل لتحقيق رضاه والفوز بجنته في الآخرة والسعادة في الدارين، كتجنب المناهي، والاستقامة على شرعه، والاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الأعمال والأخلاق، والإيمان بهم والانتفاع بهم وبدعائهم وتوجيههم؛ إذ ربط سبحانه الهداية بإرشادهم وما أنزله عليهم من وحي وجعلهم النموذج الأكمل لدينه وشرعه وكمال العبودية لله سبحانه، وإمامهم في ذلك كله هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام المرسلين وكل من نهج نهجه واتّبع سبيله وشرعته إلي يوم الدين.

ومعلوم أن الله خلق الرحمة وقسمها مائة جزء، كما أخبر بذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأظهر في الدنيا جزءًا واحدًا منها، به يتراحم الخلق أجمعين إنساً وجناً وحتى دواب الأرض، والباقي هو تسعة وتسعون جزءًا ادخره في الآخرة؛ ليسع العباد بعدله وفضله فيعامل الكافر بعدله والمؤمن بفضله، فعدل الله في الآخرة مظهره النار للكافر يدخلها خالدا فيها، وفضل الله في الآخرة للمؤمن الجنة يدخلها خالدا فيها، فلا ظلم اليوم، ولا يظلم ربك أحدًا.

وهذه الرحمة المخلوقة للعالمين هي روحانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»، وهي سبقت ظهور الخلق بأن الله جعلها سببا لظهور العالمين من العدم للوجود وسببا للإمداد والرعاية والعناية الربانية بخلقه وكذا لإرشادهم لما فيه صلاحهم وهدايتهم؛ ولذا قال في الحديث القدسي: «رحمتي سبقت غضبي»، وكان النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار هذه الروحانية أول الخلق ظهورًا وأول المسلمين وأول النبيين والمرسلين، كما أنه في الآخرة أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأول شافع وأول مُشفّع وأول من يدخل الجنة؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم: «جعلني فاتحا وخاتما»، وقال سبحانه في كتابه: «كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين»، فكانت هذه الرحمة هي الوسيلة العظمى التي خلقها الله لتحصيل كل نفع وهداية وإرشاد وفلاح لكل العوالم فهي واسطة الوسائط، فلولا الرحمة للعالمين ما كانت أكوان وما كان قرآن ولا إيمان، ولا تميزت الطاعة من العصيان، ولا أهل الكفر من أهل

الإيمان؛ ولذا قال سيدي ابن مشيش في تصليته المشهورة بالصلاة المشيشية مشيرًا لهذا المعنى: (إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط)، وقال: (ولا شيء إلا وهو به منوط)، من أجل ذلك توسل أبونا آدم عليه السلام عندما أكل من الشجرة قائلا لمولاه: اللهم إني أسألك بمحمد إلا غفرت لي، فقال له سبحانه: وما علمك بمحمد؟ قال: عندما خلقتني ونفخت في من روحك رأيت اسمه بجوار اسمك على عرشك، فغفر له كما ورد في حديث رواه البزار والحاكم وصححه.

وعلّمنا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن نتوسل به ونستغيث بهذه الرحمة لأنه هو الوسيلة العظمى التي خلقها الله للعباد لتحصيل المراد فقال في دعائه تعليما لأمته: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فأصلح لي شأني كله ولا تكلني لنفسي طرفة عين ولا لأحد من خلقك)، فرحمة الله المستغاث بها هي الرحمة التي خلقها الله ليرحم بها الخلائق دنيا وأخري "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين."

وسيدنا سليمان عليه السلام توسل بهذه الرحمة فقال: "رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين". [سورة النمل: ١٩] فتوسل في دعائه برحمة الله التي هي روحانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم السارية في الأكوان قبل ظهور شخصه صلى الله عليه وسلم الكريم.

وقال قوم سيدنا موسى عليه السلام في سورة يونس متوسلين برحمة الله أيضا التي هي رحمة للعالمين في قوله تعالى: "وقال موسي يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين (٨٤) فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين (٨٥) ونجنا برحمتك من القوم الكافرين" الآية ٨٤ إلى ٨٦ يونس.

فمن قال إن التوسل بالنبي شرك فقد خالف أمر الله بابتغاء الوسيلة إليه لأنه أقرب وأرجى وأقوى الوسائل إليه صلى الله عليه وسلم، وخالف فعل الأنبياء السابقين كسيدنا آدم وسيدنا موسى وسيدنا سليمان عليهم السلام وقد توسلوا به قبل ظهور شخصه الكريم بقرون عديدة لإدراكهم بالرحمة السارية في سائر الأكوان كما في قوله "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"، وخالف أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه: (برحمتك أستغيث) تعليما لأمته، وخالف فعل أهل الموقف جميعا يوم الحشر بذهابهم للأنبياء لطلب الشفاعة عند الله فبدأوا بسيدنا آدم عليه السلام حتى انتهوا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال: (أنا لها أنا لها) فشفَّعه الله في الخلائق جميعا.

فالأخذ بالأسباب طلَبه الله من عباده تعبّدا لتحصيل مراده منهم، وكلها وسائل توصل إلى الله ابتغاء رضوانه، قال في كتابه: "الرحمن فاسأل به خبيرا"، وقال: "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب"، فدل العباد على أن الخبير الذي يدل عليه هو النبي صلى الله عليه وسلم كما في كاف الخطاب في قوله: إذا سألك" عبادي عني، فلا تشعر بقرب الله إلا بالتوجه للخبير ليدلك عليه، فدل بمفهوم المخالفة أنهم لو ذهبوا إليه مباشرة بغير المرور على هذا الخبير صلى الله عليه ما فتحت لهم أبواب القرب والقبول، وقال سبحانه: "ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيما"، فأمرهم بالمجيء إليه صلى الله عليه وسلم بطلب استغفاره لهم واستغفارهم بين يديه صلى الله عليه وسلم ليجدوا المغفرة والرحمة.

ثم إنكار الأخذ بالأسباب والتعبد بها واعتبارها شركا يخالف الواقع المحسوس وما اتفق عليه العقلاء على مر العصور من الأخذ بها والاجتهاد فيها والأخذ في تحصيلها لأنها من فضل الله الذي تفضل الله به على

عباده في الدنيا ليحصلوا من خلالها على ما فيه النفع لهم سواء كانت هذه الأسباب أسبابا دنيوية متعلقة بالمعايش أو أسبابا شرعية متعلقة بطاعة الله واجتناب نواهيه، وقال الله تعالى: "واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما"، فالتوجه إلى الأسباب والأخذ بها في الحقيقة توجهٌ إلى الله وذهاب إليه؛ لأنه هو الذي أظهرها سبحانه وتعالى لعباده لتحصيل ما ينفعهم، فترك الأسباب أو اعتبار أن الأخذ بها شرك يؤدي إلى إنكار الوسائط والشرائع والنبوات والوحي.

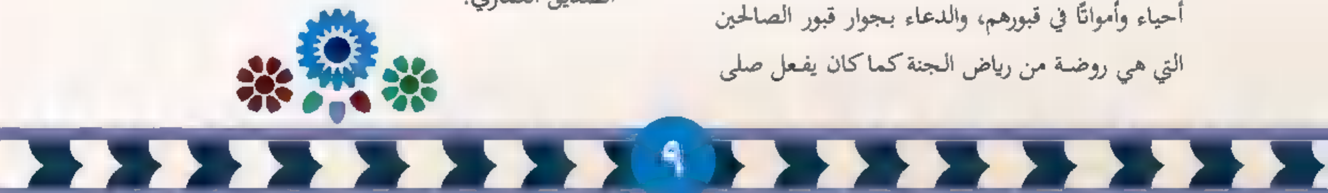
وبالتالي الأخذ بالأسباب طلبه الله من عباده تعبدا لتحصيل مراده منهم وكلها وسائل توصل إلى الله ابتغاء رضوانه من عمل صالح وعبادة وحب الصالحين والتوجه إليه بالأنبياء وصالح المؤمنين ليسألوه سبحانه من فضله بألسنة هؤلاء ودعائهم وإرشادهم وشفاعتهم، ومن أنكره أو ادعى أنه شرك بالله ما فهم مراد الله من خلق الأسباب والوسائل والوسائط ويوشك أن ينكر حتى سنة الله في كونه من خلق الأسباب.

فالتوسل بالعمل الصالح وكذا الدعاء في الأماكن المباركة كالكعبة والمساجد والمشاعر المباركة وأماكن عبادة الصالحين "هنالك دعا ذكريا ربه"، أي مكان تعبد سيدتنا مريم، وتحين الأوقات المباركة أثناء الآذان، وبين الآذان والإقامة، وعند السجود ودبر الصلوات، وأشهر الحج، وشهر رمضان، والثلث الأخير من الليل، كل ذلك توسل بالزمان والمكان والعمل، ثم يدل ذلك من باب أولى على أن التوسل بالعابد والعامل بالطاعات يكون من باب أولى؛ لأن العامل أقوى من العمل، والمكين يشرف به المكان والزمان، وبالتالي التوسل بالأنبياء والصالحين وبدعائهم من سنة الله التي شرعها الله لعباده أخذًا بأسباب القبول والقرب والرجاء، وزيارة الصالحين أحياء وأمواتًا في قبورهم، والدعاء بجوار قبور الصالحين التي هي روضة من رياض الجنة كما كان يفعل صلى الله عليه وسلّم عند زيارة البقيع وشهداء أحد، وبصلاته بجوار قبر سيدنا موسى عليه السلام في رحلة إسرائه، ومروره على بيت لحم حيث ولد سيدنا عيسى عليه السلام، يدل على أن هذه الأماكن مباركة وأنها من أرجى الأسباب التي يكون عندها سرعة الإجابة؛ ولذا كان يدعو عند زيارة القبور لنفسه وللموتى فيقول: (اللهم اغفر لنا ولهم ولا تفتنا بعدهم ولا تحرمنا أجرهم.

فزيارة الأولياء وقبور الصالحين والدعاء عندهم سنة نبوية وليست بدعة شركية كما يدعي كثير من الجهلة، فشوش على المسلمين عقائدهم، ولا فرق بين حياة وموت للصالحين والأنبياء من حيث التوسل بهم؛ لأن فضل الله عليهم وجعلهم أبوابا للرحمة والقبول متعلق بالأرواح وليس بالأجساد، والأرواح لا يطرأ عليها موت بل ما زالت وهي في برازخها تُمد من الله بالبركات والمواهب؛ لأن الله قال: "لهم أجر غير ممنون" أي غير مقطوع، فلا يقطع فضله عنهم بعد وفاتهم، فما كان الله ينفع به عباده عن طريقهم حال حياتهم يستمر عن طريقهم حتى بعد وفاتهم، وبالتالي لا شيء يؤدي إلى الشرك في زيارة الصالحين بعد وفاتهم كما كان الحال في حال حياتهم ومن ظن أنهم ينفعون في حياتهم دون وفاتهم فقد نسب إليهم النفع وهذا هو عين الشرك؛ فالنافع هو الله عن طريقهم سواء أحياء كانوا أم أمواتًا.

هدانا الله جميعا لما فيه الرشد والرشاد والإرشاد بمدد الحبيب الأعظم والشفيع الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله والصالحين.

ومن أراد الزيادة فليستمع لشرحي على الخريدة البهية على اليوتيوب، وليطالع كتاب اتحاف الأذكياء في جواز التوسل بالأنبياء والأولياء لسيدي وشيخي عبد الله الصديق الغماري.



٣

السُّلُوك

شيخ/أيمن حمدي الأكبري

شيخ الطريقة الأكبرية الحاتمية

facebook.com/ayman.hamdy.35

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ رسول الله، وعلى آله، وبعد...

فإن الطريق إلى الله هو الشرع المُنزَّل، أما الطريقة فعبارة عن كيفية السلوك على الشرع، وقد ورد لفظ الطريقةِ مُعرَّفًا مرَّةً واحدةً في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى حكايةً عن الجن {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا} [الجن:١٦] ، كما جاء مرةً غير معرَّف في قوله تعالى: { إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا } [طه:١٠٤]، قال الطبري: حدَّثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن شعبة، في قوله: { إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً } أوفاهم عقلا، فالطريقةُ وتمام العقل متلازمان، كما كان العقلُ مناط التكليف، وفي أول الآيتين إشارةٌ لمن وعى.

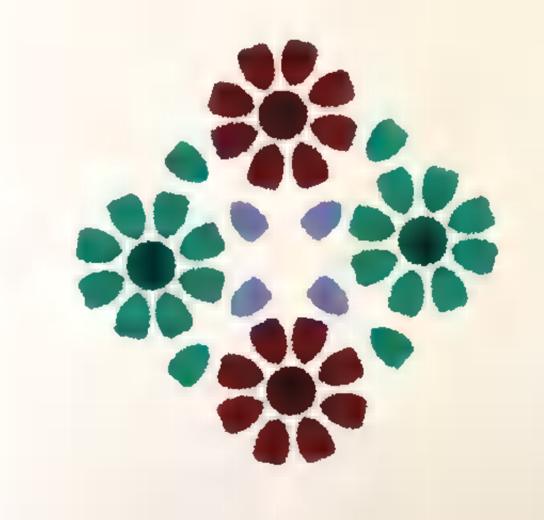
فالطريقةُ برزخٌ بين الشريعةِ والحقيقةِ، ومن خاصيةِ البرزخ أن يقابل الوجهين بذاته، قال تعالى {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ} [الرحمن: ١٩ - ٢٠]، البرزخُ إذًا يعطي اتصال البحرين مع عدم طغيان أحدهما على الآخر؛ هذا مِن خاصية البرازخ، فمن وجدَ في الطريقة طغيانًا لأحد البحرين فمِن حيث سلوك الشخص لا من حيث حُكم الطريقةِ وبرزخيتها، فليست طريقة سلوكِ كلِّ أحدٍ على الطريق هي عين طريقةِ الشيوخ من العلماء العاملين الذين أصَّلوا المناهج وبينوا المشارب، كسيدي أبي الحسن الشاذلي، وسيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي الرفاعي والشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي، ومن حذا حذوهم أو جدد للناس وعبَّدَ لهم معالم طرقهم.

والحقُّ أقولُ إن عِلمَ البرازخَ مِن العلوم اللازمة لسالك طريق القوم، ولا يكون الخوض في هذا الميدان بغير عِلْم، بل هو مِن أجَلِّ علوم الدين كما هو مشهور بين أهل طريقتنا المثلى لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث تمَثُّل جبريل عليه السلام: هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم.

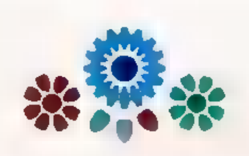
فجَعلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الدينَ عِلْما، وفي الحديث أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، ولا يتحقق ذلك إلا بالخيال، والخيال برزخٌ عظيم، فبان لنا وجهٌ مِن البرزخية المشار إليها.

قال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي في كتاب التجليات: الحمدُ لله مُحكِّم العقل الراسخ في عالم البرازخ، بواسطة الفكرِ الشامخِ، وذِكْرِ المجدِ الباذخ. (انتهى)

فلا يصح السلوك بطريقة الولوج في عالم البرازخ إلا بعقلٍ تامٍ راسخٍ مُتمَكِّنٍ مِن قوتي الفكرِ والذكر، وقد وصف الفكر المطلوب بالشموخ، والشموخ العلو والارتفاع بحيث يشرف السالك بفكره العالي على ما قابله علوًّا وسُفلا، قال تعالى: { وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا }[المرسلات:٢٧] أي جبالٌ عالياتٌ مُشرفات، فهذا وصفُ فِكر السالكِ طريق الحقّ على طريقةِ القوم.



ولمَّا كان من خاصية البرزخِ الجمع بين العالمين، حتى يرى النائم في عالم الخيال الأمس واليوم والغد، كما يرى الدنيا والآخرة، والجنَّةَ والنار، بل قد تتمثَّل له المعاني في صور الأشخاص والأكوان، ومنها العلوي والسفلي، كان الذِكرُ مِن أسباب رسوخ العقول في البرازخ، وهو قول الشيخ الأكبر: وذِكر المجد الباذخ؛ أي وبواسطة ذكر المجد الباذخ، والمجد لا يكون على التحقيق إلا لله، والباذخ يعني العظيم، فمن خاض بعقلٍ راسخ مستندًا إلى فِكرٍ شامخ، مستحضرًا ذِكر المجد الباذخ؛ كُتب له التمكين في عالم البرازخ، وهذا حال الأكابر من أهل هذه الطريقةِ، التي لا تكتمل إلا بالعلم والعمل، جعلنا الله ممن انتفع بها فاكتمل.





ملامح المنهج الصوفي في التربية

شيخ / أشرف سعد الأزهري

من علماء الأزهر الشريف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه وسلم، أما بعد، فمما يتميَّز به المنهجُ الصُّوفيُّ في العنايةِ بالإنسانِ والنفس البشريَّةِ بميزاتٍ تباين بينَه وبين المناهج الأخرى من حيث شموليَّتُه وانفرادُه ببعض الميزاتِ التي لا توجدُ في أي منهجٍ آخرَ، فمنها على سبيل المثالِ:

١- تطبيقُ جميع التَّعاليم والآداب الشرعيَّة التي تصون النَّفس البشرية وتحفظ لها الانضباط، وذلك في إطار الرُّوحانية والشفافية القلبيَّة التي تجعل التَّعاليم الشَّرعيَّة منهجًا حيًّا يلمسُ الإنسان في اتِّباعه لذَّةً رُوحيَّةً ومتعةً معنويَّةً لا يعاني في تطبيقِها الجمودَ ولا الإحساسَ بالقيودِ.

٢- وُجودُ العديدِ من طُرق التَّعامل مع النَّفس البشريَّةِ في المنهج الصوفيِّ، وذلك لتنوع الأنفسِ واختلافِ طبائِعها تبعًا لاحتواءِ المنهج الإلهيِّ على النُّور الذي يصلحُ لجميع أنواع النَّفس البشريَّةِ.

٣- المنهجُ الصوفيُّ يربط الإنسانَ في كلِّ أحواله وأوقاتِه بالله سبحانه وتعالى، فلا تكون التَّربيةُ والتزكيةُ لتحصيل الخير في الحياة الدنيا فقطْ، وإنَّما المبدأُ والمنتهى هو الله سبحانه وتعالَى.

٤- المنهجُ الصُّوفيُّ يُحَوِّلُ التَّعبدَ لله والمناسكَ التَّعبدية بأشكالها وصُورِها إلى وسيلةٍ من وسائل التَّربية، فيجعلُ الصَّومَ والصَّلاةَ والجهادَ والزكاةَ والحجَّ وسيلةً من وسائل إصلاحِ النَّفس البشريَّة، فلا يفصل التعبُّدَ عن السُّلوكِ الإنسانيِّ، ويظهر ذلك جليًا في كتبِ الإمام الغزاليِّ.

٥- المنهجُ الصُّوفيُّ يحقِّقُ الاعتدالَ والتَّوازنَ والوسطيَّةَ في الأخلاقِ والأفعالِ والسُّلوكياتِ؛ فنجد الشَّخصَ الذي تربَّى على المنهجِ الصُّوفيِّ الصَّادقِ من أكثر النَّاس تعاونًا ورفقًا بالنَّاسِ وإخلاصًا في الأعمالِ والوظائفِ وانسجامًا مع كافَّة أنواع المُجتمعاتِ على اختلافِ أنماطِها، ويجعلُه أيضًا من أكثر النَّاس التزامًا بعبادته وقُرباته مع ربّه سبحانه، ولا يرى أيَّ تنافر بين الانسجامِ بين النَّاس والتَّعاون معهم وبين محافظتِه على أمورِ دينِه.

٦- وُجودُ الشَّيخ المربِّي المرشدِ الهادِي، والذي اجتمعتْ فيه العلومُ الشرعيَّةُ والمناهجُ الرُّوحيَّةُ الرَّبانيَّةُ التي تحقِّقُ

أعلى درجات التَّربية النفسيَّة والرُّوحية، فالشيخُ بالمفهوم العصريّ هو الأبُ الرُّوحي الوارثُ لميراث النُّبوة من العلومِ والآدابِ الذي يَعلَمُ بحقيقةِ النَّفس البشريَّة وطُرق تقويمِها ووضعِها على الطَّريق السَّليم سُلُوكًا وعَمَلًا.

٧- المنهج الصُّوفيُّ يحقِّقُ التَّكافلَ في المجتمع الواحدِ ويشيع بين أفرادِه الأُلفة والمحبَّة، وينشر قيم التَّعاون والإخاء والتَّكافل وسد الحاجاتِ، وذلك عن طريق غرسِ القيم الإسلامية الرُّوحية وتحويلِها إلى سلوكٍ عمليّ واقعيّ.

٨- التَّربيةُ في المنهجِ الصُّوفيّ تُصلحُ ظاهرَ الإنسانِ وباطنَه في الوقتِ نفسه، فتصنعُ بذلكَ الإنسانَ الكامل المتزن الباطنِ مع الظَّاهر، فلا تصنع قشورًا مِنَ الأخلاقِ الظاهريَّةِ مع خواء الباطن الإنسانيّ منها، ولا تصنعُ بواطن كاملةً بدون التَّطبيق العمليّ لها في الحياة اليوميَّة؛ بل تجمع بين الباطنِ والظَّاهر في تناغمٍ فريدٍ ينتج منه الشَّخصُ المسلمُ المنضبطُ المعتدلُ ذو النَّفس المطمئنةِ والسُّلوكِ النَّافعِ.

٩- التَّربيةُ في المنهجِ الصُّوفيّ لا تخضعُ لأهدافٍ أو أغراضٍ متنوّعة سواءٌ أكانت سياسيةً أو اجتماعيَّةً تخدم أغراضًا محدَّدةً سلفًا، وإنما هدفُها الوصولُ بالعبد إلى مقام الإحسانِ والقرب من الله، وهو أن تعبد الله كأنَّك تراه فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك، فلا يستخدم التَّصوفَ كستارٍ أو وسيلةٍ لتحقيقِ أهدافٍ أخرى غير تحقيق مقامِ العبوديَّة لله.

١٠- المنهجُ الصُّوفيُّ يتميزُ بالرِّفقِ في معالجتِه لأمراض النَّفسِ والقلبِ ومراعاة الإحسانِ إلى الخَلْق كلِّهم، ورؤية نسبتهم إلى الله وأنَّهم من خَلْقِ الله، فوجب مراعاةُ الرِّفق بهم ومحاولةُ الإصلاح والتَّقويم بالموعظة الحسنة وضَرْبِ المثال الطَّيب وعدمِ التَّعالي على الخَلق والانفصالِ عنهم؛ بل يغرسُ التَّصوفُ في النَّفسِ البشريَّة صفاتِ التَّواضع للخَلْق والمحبَّة لهم والشَّفقة عليهم اقْتداءً بسيّد الخَلْق محمد ﷺ.

يستمدُّ المنهجُ الصُّوفيُّ أصولَه وقواعدَه في التَّربية والإرشادِ ومعالجة أمراض النَّفس والقلب من كتابِ الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وذلك من خلال مراعاة الجانب الرُّوحي في الإسلام، وانطلاقًا من تتبع تطبيق الرَّسولِ الكريم صلواتُ الله وسلامه عليه في حياتِه وأفعالِه وأقواله، فالنبيُّ ﷺ هو المثالُ الأسمى للنَّفس البشريَّةِ في أعلى درجاتِها قُربًا من الله سبحانه وتعالى وتحقيقًا للعبوديَّةِ، وكذلك تطبيقًا لشرائعِ الإسلام وأوامرِه، فجَمَعَ صلواتُ الله وسلامه عليه بَينَ أعلى درجاتِ سُموّ الرُّوح وأعلى درجاتِ التَّعاملِ مع الخَلْق، فكان كما وَصفَه ربُّه سبحانه وتعالى في كتابِهِ الكريمِ: « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم » [القلم: ٤].

فأصولُ المنهجِ الصُّوفيّ في تزكيةِ النَّفسِ البشريَّةِ وتهذيبِها تتمثَّلُ في الاستعانةِ بنصوص الكتابِ والسُّنة ومحاولةِ تطبيق المثال المحمَّدي على النفوس البشريَّة من خلال تحقيق الصَّفاء القلبيّ والرُّوحيّ للإنسانِ، فهو ينطلقُ من الكتابِ والسُّنةِ على يد المشايخ المُربّينَ ولا يخرجُ عنهما، وذلك ملموسٌ كما سيأتي بيانُه من خلالِ أقوال أهل التَّصوفِ فلا تخرجُ أقوالُهم وحِكَمُهم عن الكتابِ والسُّنةِ والتَّطبيقِ العمليّ لها، فلننظرْ إلى أقوالِ علماءِ ومشايخِ التَّصوفِ في توضيحهم للأصولِ التي بُنِيَ عليها التَّصوفُ:

- قال سيِّدُ الطائفةِ الأستاذُ الجُنيد: «عِلمُنا هذا مقيَّدٌ بالكتابِ والسُّنة، فمَنْ لم يقرأ القرآنَ ويكتبُ الحديثَ لا يصلحُ له أن يتكلَّمَ في علمنا»[1]. وقال: «الطُّرقُ كلُّها مسدُودةٌ على الخَلْق إلا مَنِ اقتفى آثارَ رسولِ الله ﷺ»[2].

(١) انظر: فضل علم السلف على الخلف (ص ٣٤) تأليف: أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي- المطبعة المحمودية.

(٢) انظر: مدارج السالكين(١٢١/٣) تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية- دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة الثانية- ١٣٩٣هـ.

وقال الإمامُ أبُو القاسم عبدُالكَريم بن هوزان القُشيريُّ في رسالتِه: «الشَّريعة أمرٌ بالتزام العبوديَّة، والحقيقةُ مشاهدةُ الرُّبوبية، فكلُّ شريعةٍ غير مؤيدةٍ بالحقيقة فغيرُ مقبول، وكلُّ حقيقةٍ غيرِ مقيدة بالشَّريعة فغيرُ محصول، فالشَّريعةُ جاءتْ بتكليفِ الخلْق، والحقيقةُ إنباءٌ عن تصريف الحقِّ، فالشَّريعةُ أن تعبدَه والحقيقةُ أن تشهدَه، والشَّريعةُ قيامٌ بما أمر والحقيقةُ شهودٌ لما قضى وقَدَّرَ وأخْفَى وأظْهرَ»(١).

وقد قيل في علاماتِ الصِّدقِ في السلوك «إنَّ سالكَ سبيلِ الله قليلٌ والمدَّعي فيه كثيرٌ ونحن نعرف لك علامتَيْنِ له:

الأولى: أنْ تكونَ جميعُ أفعالِه موزونةً بميزانِ الشَّرع، موقوفةً على توقيفاتِه إيرادًا وإصدارًا وإقدامًا وإحجامًا، إذ لا يُمكِنُ سلوكُ هذه السبيل إلَّا بعدَ التلبُّس بمكارم الشَّريعة كلِّها.

والثَّانية: لا يَصِلُ فيه إلا مَن واظبَ على جملةٍ من النَّوافل، فكيف يَصِلُ إليه من أهملَ الفرائضَ؟».

فهذه هي أصولُ المنهجِ الصُّوفيِّ، وهي المبنيَّةُ على كتابِ الله وسُنَّةِ رسولِ الله ﷺ، والتَّربيةُ الصوفيَّةُ ما هي إلا تطبيقٌ لرُوح وحقيقة الإسلام مُحافِظةً في ذلك على الحدود والأركان الشَّرعية، وهذا ما يدعونا إلى مَعرفةِ أهداف التَّربيةِ الصوفيَّة بعد معرفةِ أصولِها.

---

(١) الرسالة القشيرية (١/١٩٥) تحقيق: د. عبدالحليم محمود، ود. محمود بن الشريف- دار المعارف.





اللّهم صلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ
عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِك
سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ
وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّم
عَدَدَ مَعْلُومَاتِك وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ
كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ
وَغَفَلَ عَن ذِكْرِهِ الغَافِلُون

ذكرها الإمام الشَّافِعِي رَضِيَ الله عنه في الرسالة



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد :

فقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم عن معاوية بن أبي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك»

وقد اختلف أهل العلم في المراد بهذه الطائفة : فمن قائل: هم المحدثون خاصة، ومن قائل هم أهل السنَّة والجماعة. وقال جماعة من أهل العلم «هم الصوفية»

والحقيقة أن هذه الاقوال لا تناقض بينها، فهي من قبيل اختلاف العبارات لا اختلاف الاعتبارات، وهذا الاختلاف من قبيل اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد

لأنَّ هذه الطائفة هم: «**العلماء المجتهدون المحدثون الصوفية أهل السنة والجماعة بمجموعهم**»، كما حقق ذلك السيد عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى ورضي عنه في «الأجوبة الصارفة لإشكال حديث الطائفة» حيث قال: «إنَّ العالم على الحقيقة والعرف والاصطلاح هو الذي يعرف الحق بدليله، وذلك لا يكون إلا مع الاجتهاد، وهو لا يتصور إلا بمعرفة الحديث، ولا يكون من جمع هذه الشروط كلها إلا من أهل السنة والجماعة؛ لأنه ليس في القرآن والحديث إلا الحق الذي هو المقصود بمذهب أهل السنة والجماعة، ومن جمع هذه الشروط كلها فهو الصوفي؛ لأن الصوفي هو العالم العامل بعلمه على وجه الإخلاص، وتتمثل ثمرة الإخلاص في ما يجريه الله على يديه من كرامات ويظهره له من أنوار ومعارف .»

وإذا كان ذلك كذلك فإن الصوفية حقا هم الراشدون في هذه الأمة ، القائمون بالحق، الحاملون لمشاعل النور والهداية في كل أصقاع الأرض ، الدَّالون على الله تعالى ، الباذلون من أجل دينهم النَّفس والنَّفيس .

وقد كان لساداتنا الصوفية جهود كثيرة في أبواب متنوعة من العلم غير أنهم كانت لهم المكانة الزلفى في «علم الحقائق»

- **المراد بعلم الحقائق:**

اختلفت ألفاظ الصوفية في تعريف علم الحقائق غير أنها تشير جميعها إلىٰ معنىٰ واحد:

يقول الشيخ عبد الغني النابلسي:

"علم الحقيقة : هو علم تجليات الله تعالى ، وظهوره بأفعاله ، وهو باب الحقيقة ، وتجلياته بأسمائه وصفاته ، والله يتولى تعليم السالك وتوقيفه على اصطلاحات علماء هذا الشأن ، ولا يحتاج إلى أحد من علمائها.

ويقول : " علم الحقيقة : هو علم يعطي العارفين معارف ، وحقائق بطريق الفيض والإلهام ، كالبحار الزواخر ، التي لا أول لها ولا آخر".

فعلم الحقيقة، هو علم وهبي يفيضه الله تعالى على من يشاء من عباده ، ولهذا العلم ارتباط عظيم بالأسماء الإلهية لما أن التجلي غالبا ما يكون من وراء سجف الأسماء والصفات، ولما أن الخلق لا تعامل لهم مع الذات الإلهية صِرفا .

يقول الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي: «علم الحقائق : هو العلم بالأسماء الإلهية»

وهذا العلم هو الثمرة لسائر العلوم، كما قال الشيخ السراج الطوسي:

علم الحقائق : هو العلم الموجود عند أهل الحقائق ، وهذا العلم : ثمرة العلوم كلها ، ونهاية جميع العلوم ، وغاية جميع العلوم، فمن انتهىٰ إليها وقع في بحر لا غاية له.

وبما أن الحقائق متعددة ، وجدنا الصوفية يتكلمون عن أنواع كثيرة من الحقائق، فيتكلمون عن الحقائق الروحية ، والحقائق الصفاتية ، والحقائق الذاتية ، وحقيقة الحقائق ، وغير ذلك ، ومن أكثر الحقائق التي أولتها الصوفية عناية كبيرة ، «الحقيقة المحمدية»

المعنىٰ العام لمصطلح « الحقيقة المحمدية «

تتألف هذه العبارة من مفردتين : «الحقيقة» و «المحمدية» ، فأما المفردة الأولىٰ فإن معناها العام : هو كنه الشيء وذاته أو كما يقال « ماهيته»، وأما المفردة الأخرىٰ فتشير إلىٰ سيدنا محمد صلىٰ الله عليه وسلم، فيكون معنىٰ العبارة كاملة هو : الكنه أو الماهية الذاتية لسيدنا محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

إنَّ هذا المعنىٰ لهذه العبارة يبعدنا - ولو شكلياً - عن الجانب الصوري أو المظهري للنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم في معرفة الحقيقة المحمدية عند الصوفية، ويجعلنا نركز علىٰ الجانب المعنوي له أو الروحاني، ولتوضيح ذلك نأخذ علىٰ سبيل المثال «الإنسان»؛ لنرىٰ الفرق بين صورته وماهيته ، فلو أننا نظرنا إليه من حيث بعده الصوري أو المظهري لوجدنا أنه يتكون من لحم ودم وغيرها من الأمور البايلوجية الحية بما تنطوي عليه من عناصر كيمياوية متداخلة ، التي يمكن دراستها ومحاولة اكتشاف خصائصها بواسطة التجارب والاختبارات العلمية أو المعملية ، ولكن حين ننظر إلىٰ الإنسان من حيث البعد الجوهري له الذي خلقه عليه الحق تعالىٰ نجد أنه يتكون من « طين» نفخ فيه «الروح» بحسب ما يصفه لنا كلام الله تعالىٰ . وعلىٰ هذا يكون الأصل الماهوي للإنسان من حيث البعد القرآني هو: «الطين والروح» .

هذا الأصل الماهوي هو الذي يعبر عنه بحقيقة الشيء أو كنهه ، فهو يمثل هنا ما يعرف اصطلاحاً بـ «الحقيقة الإنسانية».

وعلىٰ هذا فما يراد بالحقيقة المحمدية هو الجانب الباطني منها لا الظاهري، فما هي الحقيقة المحمدية ؟ وما تعريف الصوفية لها ؟ وما الفرق بين

الحقيقة المحمدية والحقيقة الأحمدية؟ سنحاول إن الله تعالىٰ إلقاء الضوء علىٰ كل هذا مع زيادات وفوائد والله المستعان وبيده التوفيق .

الحقيقة المحمدية في تعريفات مشايخ الصوفية

اختلفت تعريفات الحقيقة المحمدية علىٰ ألسنة مشايخ الصوفية ، وتعددت بحسب المشارب والأذواق ، لأن الحقيقة المحمدية عندهم مواجهة لكل الخلق، ولكل الخلق حظ منها، ووجه من وجوه الاستمداد ، فكان من الطبيعي أن يكون لكل سالك منهم ذوقه الخاص ، وذلك مثل التصوف الذىٰ هو تجربة روحية خاصة، فتعددت تعريفاته حتىٰ قال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالىٰ في كتابه «قواعد التصوف: إن الحكم علىٰ الشئ فرع عن تصور ماهيته، وقد حدَّ التَّصوُّف ورسم وفسِّر بوجوه تبلغ نحو الألفين، مرجع كلِّها لصدق التَّوجُّه إلىٰ الله تعالىٰ، وإنَّما هي وجوه فيه». فكذلك وجدنا للحقيقة المحمدية تعريفات كثيرة نذكر منها الآن ما يلي:

قال الشيخ كمال الدين القاشاني : « الحقيقة المحمدية : هي الذات مع التعين الأول ، فله الأسماء الحسنىٰ كلها ، وهو الاسم الأعظم «

وقال الشيخ أبو علي الدقاق: « الحقيقة المحمدية: هي النور المحمدي الذي انبثق منه الكون ، وتجلىٰ في آدم والأنبياء والرسل ، وهو «الإنسان الكامل»، والإنسان الكامل هو القطب»

ومن أجمع التعاريف للحقيقة المحمدية ، تعريف العارف الكبير السيد محمد مهدي الرواس

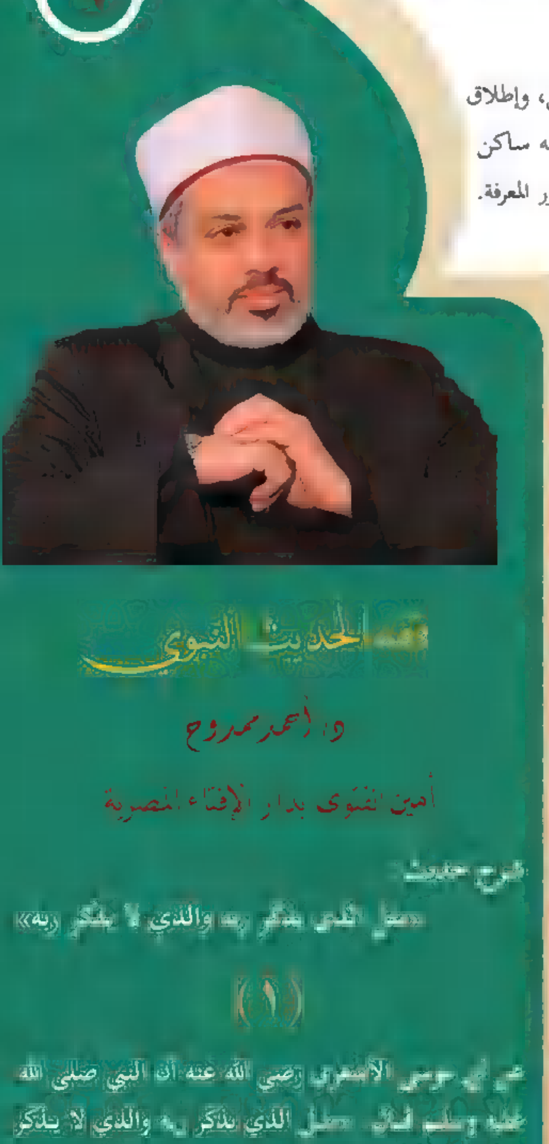
حيث يقول : « الحقيقة المباركة المحمدية : هي مبدأ طرز الحكم الموضوعة ، وأول شكل الهياكل المصنوعة ، بل السبب الأعظم القائم في مادة الوجود ، والعلة الغائية لخلق كل موجود ، والحبل الطويل الكافل وصلة كل واصل ، والباب العريض العالي الضامن كفاية كل داخل ، والكنز الجامع لنكات الكائنات ، والكوكب اللامع في مطالع سماوات الموجودات ... والنقطة الشاملة المطلسمة بحل كل رصد، ورصد كل مدد ... والنعمة العظمىٰ التي تشبث بأذيال إحسانها عيسىٰ ، والقاموس المترجم بلسان القدم في مدارس العدم ، والناموس الأعظم المحكم سلطانه فوق كل هام وقدم ، والقبضة الأصلية التي جمعت بطي مضمونها هيكل الأمر والإبداع والخلق ، والنشأة الأزلية المتوجة بتاج البرهان والإحسان والحق ، مقتدىٰ كل إمام في كل دائرة إلهية ، وقبلة كل مقتدىٰ في كل حضرة لاهوتية ، وارد الإرادات ومهبط أمر تصريفها ، ومظهر المشيئات وواسطة تدويرها في تنميق ثقيلها وخفيفها ، لوح العلم المطرز بكل علم خفي مكتوم ، وقلم السر الكاتب بأمر الله كل ما اندرج في صحيفة وهب الحي القيوم ، وحجاب العناية القديمة القائم بالأمر الأزلي بين المَـلك والعبيد ، وبرزخ الشرف الرفيع الممدود للفرق بين المراد والمريد ، حرم الله الأمين المحفوف بعساكر الغيوب ، وسلطان البرهان الديمومي الساري سريان سر قدرته في جميع القلوب ، أمين الحضرة المقدسة علىٰ سر كل خزانة غيبية ، وواسطة التجلي في الحضيرة الأبدية لكل زمرة معظمة خفية وجلية ، وآدم آدم ، وأصل العالم ، والحيطة الجامعة الكبرىٰ، واللمعة البارعة الزهرا ، والعالم الأكبر الشامل ، والعلم الأعظم الطائل ، والنوع المتضمن كل الأنواع، والنَّفس الساري في القلوب والأبصار والأسماع ، عروس خلوة الواحدية ، ومحبوب جلوة الأحدية ، البرق المتلوي في زوايا الجبروت ، والقمر المتلألئ تحت أستار الرحموت ، مصباح مدار الجلال ، وفجر قبة الجمال ، وجامع مدينة الوصال ، ومحراب مملكة الإيصال ، ونتيجة كل المقال ، وزبدة كل مآل ، غضنفر غاب القدس....» يتبع

الشرح:

هذا حديث شريف رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، وترجم عليه: باب فضل ذكر الله عز وجل، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ورواه مسلم وغيره عنه بلفظ: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحي والميت».

وهذا الحديث الشريف يبين فضل الذكر وأن الذاكر به بالنسبة إلى الغافل عنه كنسبة الحي إلى الميت.

والذي يوصف بالحياة والموت حقيقة هو الساكن لا السَّكَن، وإطلاق الحي والميت في وصف البيت -في الرواية الأخرى- إنما يراد به ساكن البيت، فشبه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة.



قال الفخر الرازي: "المراد بذكر اللسان: الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب: التفكر في أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي؛ حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله، والذكر بالجوارح: هو أن تصير مستغرقة في الطاعات ، ومن ثم سمى الله الصلاة ذكرًا؛ فقال: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[الجمعة: ٩]"اهـ.

ونقل عن بعض العارفين أنه قال: "الذكر على سبعة أنحاء؛ فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء".

والذكر قد رغبت الشريعة فيه وجعلته من أَجَلّ العبادات كما هو واضح في هذا الحديث الشريف وفي غيره من النصوص الشريفة؛ من ذلك: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الأحزاب: ٤١، ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[البقرة: ١٥٢]

وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت: ٤٥]؛ قال بعض السلف: أي ولَذِكْرُ الله تعالى أفضلُ من كل شيء سواه.

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم».

وروى الترمذي وابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟»، قالوا: بلى. قال: «ذكر الله تعالى». قال معاذ بن جبل: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله.

وروى الترمذي عن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات، أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم وإما أنا آمرهم. فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وتعدوا على الشُّرَف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن»، وذكر منها: «وآمركم أن تذكروا الله؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله»، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح غريب".

والذكر ركن ركين من أركان الطريق؛ قال الأستاذ أبو علي الدقاق: "الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر".

وقال: "الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور، ومن سلب الذكر فقد عزب".

ويقول ابن خلدون: "الذكر كالغذاء لتنمية الروح، ولا يزال في نمو وتزيد إلى أن يصير شهودًا بعد أن كان علمًا، ويكشف حجاب الحس، ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها، وهو عين الإدراك، فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الإلهي، وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها من الأفق الأعلى أفق الملائكة"اهـ.

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في "فتح الباري" في بيان مراتب الذكر: "الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه، ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالا، فإن وقع ذلك في عمل صالح مما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالا، فإن صحح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال"اهـ.

والذكر دواء أكيد لأدواء القلوب وقساوتها؛ قال سيدى على المرصفي: "قد عجز الأشياخ فلم يجدوا للمريد دواء أسرع فى جلاء قلبه من مداومة الذكر، فحكم الذكر فى الجلاء للقلب كحكم الحصى فى النحاس، وحكم غير الذكر من سائر العبادات كحكم

الصابون فى النحاس وذلك يحتاج لطول زمن".

وقال بعضهم: "الذكـر إكسير الأوصاف الذميمة، فكما أن الإكسير يقلب الأعيان الخسيسة إلى الأعيان النفيسة، كذلك الذكر يقلب ظلمة الأغيار نورًا".

وقال الحكيم الترمذى: "ذكر الله تعالى يرطب القلب ويلينه، فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوة فقسا وييس، وامتنعت الأعضاء عن الطاعة".

والذكر سيف المريدين، به يقاتلون أعداءهم من الجن والإنس، وبه يدفعون الآفات التى تطرقهم، والبلاء إذا نزل على قوم وفيهم ذاكر، حاد عنهم البلاء؛ قال ذو النون المصري: "من ذكر الله تعالى حفظه من كل شيء".

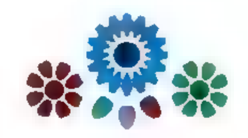
وقد قال أهل الله: إن للذكر آدابًا منها ما يسبقه، ومنها ما يقارنه، ومنها ما يلحقه.

أما السابقة: فالتوبة، والطهارة الكاملة، والتطييب، والسكون والسكوت ليحصل له الصدق في الذكر بأن يشغل قلبه بالله حتى لا يبقى له خاطر مع غير الله، ثم يتبع اللسان القلب، وأن يقيم الرابطة الروحية مع شيخه باستحضاره ليقطع صور الأغيار، وأن يرى أن استمداده من شيخه هو استمداده من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه وريثه.

وأما المقارنة: فالجلوس على مكان طاهر مستقبلا القبلة، واضعًا راحتيه على فخذيه متربعًا أو كجلوسه في الصلاة، مع تغميض العينين؛ لتنسد طرق الحواس الظاهرة فتنفتح عيون القلب، واستحضار معنى الذكر بقلبه.

وأما التالية: فالسكون والخشوع وترقب وارد الذكر، وأن يمتنع عن شرب الماء عقب الذكر برهة، فإن الذكر يورث حرقة وشوقا إلى المذكور، وشرب الماء يطفئ ذلك.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.



مما تعلمناه من مولانا شيخ الطريقة ومعدِن (١) الحقيقة الإمام العلامة نور الدين علي بن جمعة -حفظه الله تعالى- عبارته المباركة «الوعي قبل السعي» ويقابل هذه العبارة من كلام الأقدمين ما ترجم به الإمام البخاري رضي الله عنه أحد أبواب صحيحه حيث قال: " بابُ العلم قبل القول والعمل" فالعلم والوعي والفهم كلها أمور لابد منها أولًا في التصوف؛ كما أنها لا بد منها في سائر مناحي الحياة؛ فالسعي من غير وعي كمن يمشي في الصحراء بلا دليل، أو من يركب قطارا لا يدري إلى أين يتجه؟!

ومن هنا فإن معرفة مفاهيم التصوف وإدراك مقاصده، هي من الأمور المهمة على كل سالك ومريد على وفق حاله، وعلى قدر استطاعته؛ كلما ظهر له خفاء مفهوم من مفاهيم التصوف أو التبس عليه معنى من المعاني في التعبد والسلوك، فإنه من الواجب عليه وفق مقررات الطريق الرجوع إلى شيخه أو من يعينه له الشيخ حتى يزول إشكاله وتذهب حيرته.

قال تعالى ﴿الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[الفرقان:٥٩]

وفي خلال هذه المقالات سنحاول التعرف على العديد من أهم معارف ومفاهيم التصوف الإسلامي؛ من أجل أن يكون سعينا وسلوكنا على وعي صحيح، وأساس قويم.

وأول ما اخترناه كي نتعرف عليه هو مفهوم "الطريقة" وسبب ذلك أننا إذا سألنا أنفسنا عما يطرأ على أذهاننا عندما نسمع كلمة «التصوف»؛ فإن الإجابة هي أن من أول ما يرد على أذهاننا هو مفهوم "الطريقة"؛ وكأنهما وجهان لعملة واحدة!

ويسأل كثير من الناس عن معنى هذه الكلمة؟ وما المقصود منها؟ ومن أين أتى الصوفية بها؟ وما سر تمسك الصوفية بها كمنهج لسلوكهم وأساس لطريقهم؟

(١) المعدن: الأصل ؛ انظر: لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٨٤٤ ط.دار المعارف

٧

مفاهيم صوفية (الطريقة)

الحلقة الأولى

د. مختار محسن الأزهري

أمين فتوى بدار الإفتاء المصرية

facebook.com/mokhtar.mohsn



وما هي شرائط هذه الطريقة ؟ ولا يفوتنا أن نذكر أهم الإشكالات التي يرددها النابتة الخوارج كي يصرفوا الناس عن طريق الله، وشبهاتهم وإن كانت أوهن من بيت العنكبوت لكن يلزم بيان انقطاع حجتهم وبُعد منهجهم عن المحجة البيضاء؛ من باب النصيحة لعموم الأمة.

- فأما معنى كلمة الطريقة:

فإن لغة العرب حملت لنا عددًا من المعاني لكلمة الطريقة؛ كما ذكر ذلك السيد المرتضى الزبيدي في كتابه (تاج العروس شرح جواهر القاموس) فقال : " والطريقة: الحال؛ تقول: فلان على طريقة حسنة، وعلى طريقة سيئة، والطريقة: عمود المظلة والخباء، ومن المجاز: الطريقة: شريف القوم وأمثلهم، للواحد والجمع. يقال: هذا رجل طريقة قومه، وهؤلاء طريقة قومهم. وقد يجمع طرائق فيقال: هؤلاء طرائق قومهم للرجال الأشراف" [1]

فهذه بعض معاني الطريقة في اللغة، فكلمة الطريقة تحمل لنا معاني: الحال، والأساس، والشرف، وكلها معاني يمكن أن تجتمع في الطريقة عند السادة الصوفية رضي الله عنهم؛ ولا عجب في ذلك فإن علوم التصوف ومصطلحاته ليس فيها وافد دخيل بل كلها مما تناقلته معاجم لغة القرآن الذي أوحي به إلى سيد ولد عدنان ﷺ، لكن وحتى لا نحلق بعيدًا عن المراد، ونبتعد عن مقصودنا من البيان؛ فإن تمام معنى الطريقة عند السادة الصوفية قد انتقل من حالة اللفظ الذي يدور بين تلك المعاني المجتمعة إلى معنى محددٍ مستقر في الأذهان ينتقل عبر الزمان والمكان؛ وهذا المعنى هو ما عبر عنه كذلك شيخنا وإمام طريقنا سيدي علي بن جمعة في قوله " الطريقة الصوفية هي المدرسة التي يتم فيها التطهير النفسي والتقويم السلوكي" [2]

إذن فالطريقة ليست سوى المدرسة التي يتم فيها تطبيق معارف التصوف وقواعده ، وذلك على يد الشيخ الذي يمثل أساس وعمدة هذه المدرسة، وطلاب هذه المدرسة هم المريدون الذين رغبوا في تخليص نفوسهم وتهذيب أخلاقهم.

ويأتي السؤال الثاني: وهو من أين أتى السادة الصوفية بهذه الكلمة؟

والحقيقة أن الإجابة عن هذا السؤال تظهر أمرًا غاية في الأهمية، ينبغي على كل سالك ومريد أن يدركه من أمر التصوف؛ وهو أنه ليست هناك كلمة واحدة أو مفهوم من مفاهيم التصوف إلا وقد تشبع تمام التشبع بمعاني الكتاب والسنة ومنه هذه الكلمة؛ فكلمة الطريقة هي من الألفاظ القرآنية التي استخدمها القرآن وصارت ضمن مفرداته وقد وردت في أكثر من آية ومنها قول الله تعالى ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦] وقد جاء في أحد أوجه تفسير هذه الآية أن المراد هنا هو الاستقامة على طريقة الحق ؛ كما أورد ذلك الإمام الطبري في تفسيره عن مجاهد [3]

وبناء على ذلك فإن السادة الصوفية عندما وفقهم الله لاختيار لفظ الطريقة للتعبير عن تلك المدارس الربانية التي تطبق حقائق الدين وتدعو إلى الله على بصيرة؛ فإنهم لم يخترعوا مفهومًا بعيدا عن الشرع لا في لفظه ولا في أصله العربي، ولا في اتصاله بمعاني القرآن والسنة؛ فهنيئًا لمن اتبع ذلك المنهج القويم، وراح ينهل من نبعهم الصافي .

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي ٢٦/ ٧٣ ط.دار الهداية، وقد حقق بعض علماء اللغة مادة (ط ر ق) على نحو أكثر عمقا واتساعا كما فعل ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة [٣/٤٤٩] فقال: " الطاء والراء والقاف أربعة أصول، أحدها: الإتيان مساء، والثاني: الضرب، والثالث: جنس من استرخاء الشيء، والرابع: خصف شيء على شيء" ومن تأمل هذه المعاني وجد أنها تكاد تجتمع بنسب متفاوتة في معنى الطريقة ولكن خشية الإطالة نكتفي بهذه الإشارة!

(٢) البيان لما يشغل الأذهان أ.د علي جمعة ١/٣٣٦ بتصرف يسير؛ط.المقطم ٢٠٠٩م

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٦٢ ط.الرسالة ٢٠٠٠م

ويـأتي ثـالـث هـذه الأسئلة وهـو عـن سر تمسك الصوفية بالطريقة كمنهج لسلوكهم وأساس لطريقهم؟

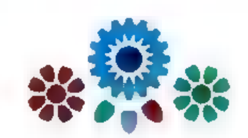
والحقيقة أن سر تمسكهم بها واضح جلي؛ وذلك لأن طريق الصوفية ليس طريق وهم وادعاء، ولكنه طريق صحبة واقتداء، فإن التصوف إذا خلا عن العمل والسلوك والإخلاص والمجاهدة، مع صحبة الأبرار والاقتداء بالأخيار -وكل ذلك من أركان ومعالم الطريقة -كان مجرد فلسفة فارغة لا ثمرة لها، ولا جـدوى ترتجى منها، والصوفية أبعد الناس عن ذلك في الحقـيقة، وإذا أردنا دليلًا يؤكد هذا الكلام، فليس هناك أوضح من أن يراجع الإنسان منهج أي طريقة من الطرق المعتمدة عند السادة الصوفية؛ ليتعرف على مقدار ما يلتزمه المريدون من أوامر الشرع وآدابه وأخلاقه، ليدرك على الفور مدى أهمية الطريقة في ترتيب وتنظيم حياة السالك على نحو يوافق الشرع الشـريف ويحقق مـراد الله منه؛ فإن لكل طريقة أورادًا بالليل والنهـتار بترتيـب معين ونسـق معلوم، مـع التزام بالأخـلاق والآداب والأذكار، مع الأمـر الصريح بعدم تعطيل المعايش وسائر أمور الحياة، وكأن السـالك المريد يطير إلى الله بجناحي العبادة والعمارة معًا!

ولذلك نُقل عن سيـدي الإمام أبي الحسن الشاذلي أنه كان لا يحب المريد المتعطل عن الكسب[(١)]، فلا يجوز أن نهمـل مـا أقامنـا الله فيه من أعمال نـافعة لنا وللناس من حولنا؛ بسبب اشتغالنا بالعبادة والمجاهدات.

ولذلك فالطريقة مجـاهدة وعـمل، وعبادة وعمارة، وذكـر وفكـر، وإخـلاص ومـحبة، وبـذل وعطـاء، وفـهم واقتداء.

فلا يمكن تطبيق مفـاهيـم التصـوف إلا بـواسـطة الطريقة التي توضـح لكل مريد وسالك ما يناسب حاله ووقته وظروفه من آداب الشريعة وأوامرها الظاهرة والباطنة كي يسير إلى الله على بينة من أمره.

وللحديث بقية عن الطريقة وشرائطها.



---

(١) انظر كتاب المدرسة الشاذلية للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود صـ٧١ ط.دار الكتب الحديثة

أعوذ بك من مقام الكاذبين
وإعراض الغافلين
اللهم لك خضعت قلوب العارفين
وذَلَّت لك رقاب المشتاقين
إلهي: هَبْ لي جُودك
وجللني بسترك
واعف عن تقصيري بكرم وجهك

الإمام الشافعي قدس الله سره



مولاي العربي الدرقاوي [١]

مجدد الطريقة الشاذلية

الحلقة الأولى

عبد العزيز معروف

باحث في التراث الصوفي

إذا أراد المرء أن يكتب عن الكُمَّل من سادتنا يجد أن قلمه قد يتوقف، فكيف يعبر قلم العاجز الفقير عن السادة الأكابر، بيد أن المرء يجد في نفسه استرواحا، لما تضفيه سيرة الأكابر على النفس من صفاء، ورفع للهمة، وتأديب، ومشاهدة لفضل الله وعظيم نعمائه، ولن أقول أنني سأوفي جزءا من حقه في هذه الحلقات، فكما قال القائل:

وعلى تفنن واصفيه بحسنه
يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف.

لكني سأحاول تقريب ترجمته، فاللهم يسر وأعن

اسمه ونسبه وكنيته:

هو: سيدي: محمد العربي بن أحمد بن الحسين، بن علي بن محمد بن يوسف بن أحمد بن الحسن، بن علي بن محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن سعيد بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة، وبهذا اللقب يعرف، الشيخ مولاي العربي، وينتهي نسبه رضي الله عنه إلى سيدي الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط بن سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وسيدتنا فاطمة الزهراء، عليها السلام.

---

(١) اعتمدنا في هذه الترجمة على: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لسيدي محمد بن جعفر الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط: الأولى ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، وطبقات الشاذلية، للحسن بن محمد الكوهن، دار الكتب العلمية ، ص٢٠٤، والإمام مولاي العربي الدرقاوي، شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية ترجمته وبعض آثاره للدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني، دار الكتب العلمية، ط: الأولى ٢٠٠٧. هدية العارفين ٢/٣٦١، ومقدمة محقق رسائل الشيخ العربي/ الشيخ بسام محمد بارود، ومن الرسائل التي أفردت في مناقبه، ولا تزال مخطوطة: النور القوي في ذكر شيخنا مولانا عبد الواحد للدباغ وشيخه مولاي العربي الدرقاوي، م. خ. ع. الرباط، رقم ك ٢٣٠١. الإغريسي (محمد بن أحمد بوزيان المعسكري)، كنز الأسرار في مناقب مولاي العربي الدرقاوي، وبعض أصحابه الأخيار، م. خ. ع. الرباط، رقم د ٢٣٣٩/ ك ٢٥١٤/ ك ٢٨٤١، وسنقسم هذه الترجمة على مجموعة من المقالات، بحول الله وقوته.

ويكفى بأبي المعالي.

أما عن العائلة الدرقاوية، فقد تكلم عنها سيدي عبد الحفيظ الفاسي في معجم الشيوخ، وذكر أنهم من أشهر البيوتات العريقة في السيادة والحسب و المجد، وجدهم هو الشيخ أبو درقة محمد بن يوسف، وكانت ديارهم الأولى قرب أسفي ، ثم انتقلوا إلى قبيلة شراكة قرب فاس، فنزلوا عين زناتة، ثم انتقلوا إلى قبيلة بني زروال.[1]

مولده ونشأته:

ولد رضي الله عنه بعد الخمسين و المائة و الألف ببني زروال، وقد نشأ رضي الله عنه في عفاف وصيانة، وحياء ومروءة، وكان في وقت صباه مشتغلا بالقراءة والزيارة لا يعرف إلا الأخيار.

قال رضي الله عنه : هممت بمعصية في حال الصبا مع بعض من تتعلق الشهوة به، فخرجت بجسمي قروح كثيرة عند ورود خاطر السوء على قلبي، فاستغفرت الله، فذهب ما بي الحين فضلا من الله ونعمة.

حفظ القرآن في السلكة= الختمة الأولى حفظا متقنا، وكان محبوبا عند جميع من رآه، قال رضي الله عنه: كنت أسلك للطلبة ألواحهم، وكثيرا ما أقبض اللوح بيدي وأقول لصاحبه قبل أن أنظر فيه، هذا اللوح ثقيل فيه كذا وكذا خسارة [أي كذا كذا خطأ]، أو خفيف ما فيه إلا كذا وكذا، أو لا شيء فيه، فلا أجد إلا ما أخبرتهم به- إلهاما من الله سبحانه- .

ثم اشتغل بقراءة العلم بفاس بالمدرسة المصباحية مدة صالحة، ثم لقي الشيخ الكبير العارف أبا الحسن علي المعروف بالجمل، وكان قبل أن يلتقيه يكرر زيارة سيدي إدريس رضي الله عنه، وقيل: إنه قرأ بضريحه ستين ختمة في طلب الشيخ المرشد، ولما ختم الختمة المكملة للستين بكى بكاء شديدا إلى أن احمرت عيناه، وخرج من ضريح مولانا إدريس، فمر بالشريف سيدي حميد من حفدة القطب الشهير العارف الكبير مولانا عبد العزيز الدباغ من ابنته، فقال لي: وكان منظورا عنده وعند غيره بالتعظيم: " مالي أراك على هذه الحالة؟" وألح علي، فأخبره بأنه اضطر إلى من يأخذ بيده، فقال له: أنا أدلك عليه إذ لم تشاور أهل الرأي القاصر، والعقل الفاتر، وقد قال الشريشي في رائيته:

ولا تسألن عنه ذي بصيرة
خلي من الأهواء ليس بمغتر .

قال: فقلت له: ومن هو؟ فقال: هو الشيخ الجليل، الشريف الغوث الجامع، والبحر الواسع أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن العمراني، الملقب بالجمل عن أهل فاس، وعند ملائكة الرحمن بالجمال، كما أخبره به بعض الأولياء".

وكان لسيدي علي الجمل وصلة عظيمة برسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان رضي الله عنه يتبدل حاله ويقشعر جلده وتحمر عيناه وقت ذكره لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو تفكره في حاله.

ولما ذهب إليه سيدي الشيخ العربي ، ودق عليه باب زاويته، وجده يشطب الزاوية -يكنسها- فقال له: أيش تريد ؟ قال سيدي العربي: أريد يا سيدي أن تأخذ بيدي لله، ثم ذكر سيدي العربي: أنه قام معه قومة عظيمة، وأخفى عنه حاله، وصار يقول له: من قال لك هذا؟ ومن أخذ بيدي أنا حتى آخذ بيدك؟ وزجرني ونهرني، وكل ذلك اختبار لصدقي، فوليت من عنده، قال فاستخرت

(١) أفرد الشيخ محمد البشير الفاسي دراسة حول قبيلة بني زروال.

الله تلك الليلة أيضا، فصليت الصبح، وقصدته لزاويته أيضا، فوجدته على حاله يشطب -يكنسها- الزاوية رضي الله عنه .

ثم كرر له طلبه، السابق أن يأخذ بيده، وهنا فرح سيدي علي الجمل به، وأدخله الزاوية، وسر به، ولقنه الورد ، وأذن له بالتردد عليه، ولبث عنده مدة سنتين، إلى أن استأذن شيخه في الرحيل بأولاده.

ومن مشايخه رضي الله عنه:

١ – الشيخ الأعظم مولاي الطيب بن مولاي محمد بوزّان.

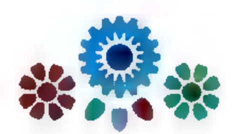
٢- الشريف المنيف أبو عبد الله سيدي محمد بن علي بن ريسون الحسني العلمي بجبل العلم بتازورت

٣- الولي الكبير سيدي العربي البقال رضي الله عنه ونفعنا به.

وكان مكثرا من زيارة الأولياء لاسيما سيدي عبد السلام بن مشيش، وغيرهم، ومن المعروف أن زيارة الأولياء لها فضل كبير، وشأن عظيم، وسر واضح شهير، إذ هي باب من أبواب الله تعالى,

وفاته رضي الله عنه:

توفي مولانا العربي رضي الله عنه ليلة الثلاثاء، في الثاني والعشرين من صفر سنة تسعة وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بزاويته المسماة ببوريح، وغسلته زوجه السيدة الصالحة القانتة مريم بت الشيخ خدة الحسناوي، وصلى عليه الأستاذ المحترم المبجل، ولي الله عز وجل، سيدي أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن من حفدة الشيخ الكبير القطب الواضح الشهير أبي البقاء سيدي عبد الوارث اليصلوتي العثماني ....يتبع





لم يشك عبد الله بن عباس رضى الله عنه فى أنه يستطيع – بعون الله – أن يرجع بالخوارج إلى حظيرة الإيمان .. هؤلاء الذين خرجوا على سيدنا على بن أبي طالب وألصقوا به تهمة الكفر على الرغم من أنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم و زوج الزهراء فاطمة رضى الله عنها ووالد سيدا شباب أهل الجنة ، وهو نفسه قد شهد له النبي عليه السلام بالجنة ، ولكنَّ الكبر والغشاوة على أعين هؤلاء أدى إلى وجود أوهام في فهم الأدلة، فصورت لهم تلك الأوهام أنه كافر! .. وهكذا الخوارج فى كل زمان ومكان يعتقدون أنهم أعلم الناس وأفهمهم حتى مع الأكابر ، فهم أعلم من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام وهم أتقى وأعلم من رسول الله نفسه ! .. فهذا كبيرهم ذو الخويصرة التميمي يقف أمام النبي وهو يقسم الغنائم فى إحدى الغزوات ويقول له : يا محمد اعدل فإن هذه قسمة لا ترضى الله ...

روى البخارى فى صحيحه من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : " بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا ، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ ، فَقَالَ : وَيْلَكَ ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ . فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ؟ فَقَالَ : دَعْهُ ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ ، – وَهُوَ قِدْحُهُ – ، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ" .

رأى نفسه أعدل من النبي نفسه ! .. وهكذا هم فى كل زمان ومكان ..

هم فقط من يفهمون الشرع ويحافظون عليه ، هم فقط من يقررون الحلال والحرام ، والرأى الخارج عن رأيهم سفه أو شطط أو تسيب وتمييع لدين الله ..

فلا تعجب إن رأيت الخوارج اليوم يكفرون ويقتلون ويحرقون ويدعون أنهم حماة الدين والشريعة وأن الدين لن تقوم له قائمة بدونهم .. وإن خالفتهم ألصقوا بمخالفهم تهمة الكفر والفسق ..

لكن ابن عباس الذى دعا له النبي عليه السلام بالفقه والفهم فى الدين كان قادراً على نقاشهم ومحاجتهم والإتيان بأربعة الآف منهم من أصل ستة الآف شخص منهم تائبين إلى الله .

فقد ورد عن عبد الله بن عباس، قال: (لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دار، وكانوا ستة آلاف فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة، لعلي أكلم هؤلاء القوم. قال: إني أخافهم عليك قلت: كلا، فلبست، وترجلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار، وهم يأكلون فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس، فما جاء بك؟ قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين، والأنصار، ومن عند ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره، وعليهم نزل القرآن ..." إلى آخر ما ورد في هذا الحوار بينه وبينهم.

ولكن شاهدي هنا في هذا المقال ما فعله ابن عباس وهو ذاهب إليهم لجدالهم ..

فقد ارتدى أفخم ثيابه ووضع أجمل العطور وكان حريصاً على أن يظهر سمة الجمال فى شخصه ، لأنه ببساطة أدرك أن مشكلة الخوارج هى عدم رؤية الجانب الجمالي فى دين الله ، فهم لا يرون فى الديـن إلا العنف والشدة والغلظة والبطش ، وأن المؤمن إنسان عبوس لا يضحك ولا يجوز له أن يتباسط مع الناس ، ولا يهتمون إلا بقضايا الجهاد والأسر والقتل، مع أنها تأتى لظروف معينة كباقى الأمم وليست الأصل فى هذا الدين ، ولكن الأصل هو الجمال .. هو دين الجمال .. الإحساس .. الذوق .. الحب .

كثير من يسخر من هذا الكلام .. ولكن الساخر وضعه كوضع الخوارج لا يرى الجمال، فالجمال والحب والذوق كلها معانى لا يدركها الإنسان إلا بالذوق ، وكما قالوا : من ذاق عرف ، ومن عرف اغترف .. أى من سلك طريق الحب والجمال يعرف أن السالكين لم يكونوا ضلالاً أو مبتدعة وإنما ذاقوا ، فلما ذاقوا عرفوا طعم الجمال فلما عرفوا اغترفوا أكثر وأكثر حتى أصبح ديدنهم وحياتهم .

ولا أدرى من أقنع هـؤلاء برابط بين الدين والبطش ، وبين الإسلام والعنـف، فليس هناك ثمة علاقة بين الدين والعنف، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الله جميل يحب الجمال "، ويقول : " المؤمن هين لين سهل " فهذه هي سمات المؤمن .. البساطة .. اللين .. الجمال في كل شيء .

فلو أنهم فهموا أن هذا من أصول الإسلام ومقاصده كما قال الله تعالى : " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " فجعل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم مقصودها الأصلي هي الرحمة ، وأن جميع الأحكام في الشريعة لابد أن تصل بنا إلى هذا المقصد ، لكان سلوكهم وطباعهم تختلف كثيراً عما نراه ، ولكنه الإجرام الذاتي الذى يريدون أن يلبسونه لباس الشرع لكى يبرر لهم أفعالهم الخبيثة .



١٠

لطائف: حبل اتصال لا تحلُّ له عُرى

عبد الله أبو ذكري

facebook.com/abdullah.abouzekry

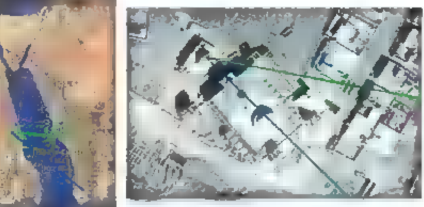


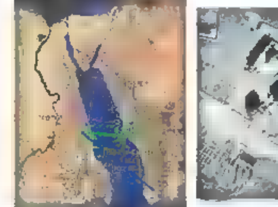
بالشّاذليّ القُدْوَةِ الكُبرى فَلُذ
بجَنَابِه تَلْقَى العسير مُيَسَّرَا
منه إلى طـه النَّبِيّ المُصطفى
حَبْلُ اتِّصالٍ لا تُحَلُّ لَه عُرى

هكذا تغنّى المداحون للإمام الشاذلي رضي الله عنه، فمنه إلى سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم حبل اتصال لا تُحَلُّ له عُرى، فهو رضي الله عنه من آل البيت الكرام، من نسل الإمام الحسن بن عليّ عليهم السلام، فهذا الاتصال الأول، وهو رضي الله عنه وأرضاه من أهل العلم تفقّه على مذهب المالكيّة في شبابه ببلاد المغرب بالسند المتَّصل إلى الحضرة النبويّة الشريفة، وهذا الاتصال الثاني، وهو اتصال العلم، ثم الثالث وهو تلقّيه الطريق بالسند المُتَّصل من شيخه القطب سيدي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه وهو اتصال سند مرتبة الإحسان الذي هو التربية والسلوك والتصوف، فقد اكتمل عنده الاتصال نسبًا وعلمًا وعملًا وسلوكًا بالحضرة النبويّة المشَرَّفة، ثم وجدنا مقامه بصحراء حميثرا جنوب مصر مُسامتًا –على نفس خط العرض تقريبًا– للقبة الخضراء النبوية الشريفة!، فهو متّصل موصول حسًّا ومعنى رضي الله عنه وأرضاه وعن شيخنا نور الدين علي جمعة رضي الله عنه وعنّا بهم آمين.

وأقول مفصِّلًا: القُبَّة الخضراء الشريفة لحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة المنوّرة على خط عرض ٢٤ درجة و٢٨ دقيقة أرضيَّة، ومقام سيدي أبي الحسن الشاذليّ بحميثرا في صحراء عيذاب على خط عرض ٢٤ درجة و١٢ دقيقة أرضيَّة، بفارق ١٦ دقيقة أرضيَّة تعلو به القُبَّة الخضراء الشريفة، ولبُعد المسافة بين القُبَّتين (حوالي ٥٠٦ كم بالقياس على الخط المستقيم) يُمكن اعتبارهما على نفس خط العرض تقريبًا وإهمال هذا الفارق البسيط الذي لا يؤثر.

فللواقف في مواجهة مقام القُطب رضي الله عنه مُستقبلًا القبلة إذا استدار لليسار قليلًا بجهة الرُّكن الأيسر للحائط المواجه له (حوالي ٣٤ درجة من القبلة لليسار) يكون مواجهًا للقُبَّة الخضراء الشريفة تمامًا، وهي كرامة للقُطب رضي الله عنه أن يُقبض بحذاء القُبَّة الشريفة، والإشارة تُغني عن العبارة، والفتح بهذه الإشارة من بركات فضيلة الإمام العلامة شيخ الطريقة نور الدين سيدي علي جمعة رضي الله عنه، والحمد لله رب العالمين.







اللَّهُمَّ صَلِّ صَلَاةً كَامِلَةً
وَسَلِّمْ سَلَامًا تَامًّا عَلَى نَبِيٍّ
تَنْحَلُّ بِهِ الْعُقَدُ
وَتَنْفَرِجُ بِهِ الْكُرَبُ
وَتُقْضَى بِهِ الْحَوَائِجُ
وَتُنَالُ بِهِ الرَّغَائِبُ وَحُسْنُ الْخَوَاتِيمِ
وَيُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ
وَعَلَى آلِهْ

وتُسَمَّى بالتفريجيَّة والتازيَّة والناريَّة
من ذكر بها عدد ٤٤٤٤ مرَّة فى حاجة
قضاها الله تعالى له كائنة ما كانت
عن مولاى أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التازى الوهرانى قدس الله سره

١١

أسئلة المريدين

أ.د/ علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

شيخ الطريقة الصديقية الشاذلية

facebook.com/DrAliGomaa

س١: هل توقف التواصل مع الشيخ كما حدث في هذه الازمة الأخيرة" أزمة كورونا" معناه انقطاع المدد أو أنهم خارج الطريق؟

الإجابة:

كان مشايخنا رضي الله تعالى عنهم يقولون لنا إذا غابت الأشباح التقت الأرواح، ولذلك فإن اللقاء الشبحي؛ أي بالأجساد ليس هو أساس الطريق، ذلك أننا في هذا الطريق إنما نسعى الى الله سبحانه وتعالى، والله هو مقصود الكل، وهو مطلوبنا في السير في هذا الطريق، والله سبحانه هو تعالى باقٍ.

ولذلك لما التفت سيدنا عمر رضي الله عنه – وهو من الصديقين الكبار– عند وفاة النبي صلي الله عليه وسلم إلى قضية تفرق الأشباح، قام سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وقال: من كان يعبد محمدا، فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

ولذلك فإن الشيخ يعينك في هذا الطريق ويساعدك ويرشدك ويعلمك، لكن المقصود هو مقصود الكل وهو الله سبحانه وتعالى، نسعى إليه بالذكر والفكر، من غير أن نلتفت إلي شيء، ونسعى إليه ونحن مؤمنون بقضائه وراضون بفعله في هذا الكون، [وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ](البقرة: ٢٨٥).

فكل هذه التصرفات الكونية التي لا حيلة لنا فيها إنما نواجهها بقول سيدنا يعقوب عليه السلام وهو يُعلّم أبنائه [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ] (يوسف: ١٨)، فما دام الأمر من عند الله سبحانه وتعالى فعلينا أن نصبر ونرضى ونسلم وأن نتوكل وأن نعتمد على ملتقى الأرواح إذا افتقدنا ملتقى الأشباح.

س٢: أنا الآن في عَزْل منزلي أجلس بمفردي في غرفه بالمنزل، وقليلاً ما أتحدث لأحد، فكيف استفيد بهذه الخلوة؟

الإجابة: بالأذكار والأفكار، أما الأذكار فتتمثل في القرآن الكريم والذكر المحض والدعاء والمناجاة والالتجاء، وأما الافكار فتتمثل في التدبر، اجلس مع آية من آيات الله وحاول أن تفهم معانيها وأن تعيش فيها وفيما تقتضيه من أمور.

س٣: احيانا أخجل من ذكر بعض الأمور للمُقدِّم وأتمنى لو كنت أذكرها لمولانا الشيخ ويزيد شوقي وحبي للشيخ وأتمنى رؤيته في المنام فهل إلى ذلك من سبيل؟

الإجابة: يندرج هذا أيضاً تحت ما ذكرناه، يندرج تحت بيان أننا في هذا الطريق ليس المقصد هو أن نلتذ بلقاء الشيخ ولا حتى أن نلتذ بالذكر ولا العبادة، ولكن المقصد أن نلتذ بالأنس بالله سبحانه وتعالى؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو المقصود وهذا هو التوحيد الخالص وهذا هو معنى أننا نحاول أن نخلص الدين كله لله.

تسقط رسوم الأكوان وتسقط رسوم الأشخاص ولا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام، فهذا هو المقصود من هذا الطريق.

وكل ما يعتري الإنسان من تعلق بالشيخ، ومن تعلق بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو صخرة الكونين وملتجأ الخلق وهو العبد الأول عند ربه سبحانه وتعالى [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] (الذاريات: ٥٦) فكان مثالاً يُحتذى به، وكما قالوا: لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك، أي أن هذا الكون قد خُلِق من أجل العبادة وأن يعبد هذا الكون ربَّه [وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ] (الإسراء: ٤٤)، فهم يسبحون ويسجدون ويرجون ويأتون ويسلمون، [الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ] (طه:٥)، وبالرغم من ذلك فإن سيد الكونين هذا أيضاً هو من طائفة الكون، فهو مخلوق لربه، وإنما أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون الأُنس به وحده جل جلال الله حتى ولو كان سيدنا النبي صلي الله عليه وسلم هو وسيلتنا إليه ومرشدنا وهو الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتبعه حتى قال: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ).

س٤: إذا سمحت مولانا ممكن تتفضل علينا ببرنامج نلتمس به البركة لتنظيم اليوم.

الإجابة: اتقِ الله ما استطعت لأن الله سبحانه وتعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها، وارض بما قسمه الله لك.

فأول ما وضع البخاري في صحيحه (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)، فيجب عليك أن تحرر النية لله وأن تجعل كل فعلك وكل تركك وكل حركاتك وكل سكناتك لله رب العالمين، هنا ستنال وتصل إلى المقصود الأتم من العبادة.

س٥: كثيرا ما نضطر في الإسراع في الذكر أو جمعه بعمل آخر لكي نتم العدد في وقته، فهل هذا قصور؟

الإجابة: بل هذا هو المطلوب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله على كل حال، والمطلوب شرعاً أن نذكر الله كثيرا، وذكر الله يتأتى بالصلاة ويتأتى بقراءة القرآن والتسبيح والاستغفار ونحوها.

فالذي طلبه الله منا أن نذكر الله كثيرا [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ] (البقرة: ١٥٢)، ولذلك نذكره في حال الخلوة وفي حال الجلوة، و نذكره على كل حال حتى لو لم نكن على طهارة، لا صغرى ولا وسطى ولا كبرى، بل ذكره سبحانه وتعالى امتثالا

لإرشاد نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يقول: (يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)، فكلما اشتد ذكرك جف لسانك، ولكن هذا الجفاف جسدي وظاهري، والحقيقة أن هذا الجفاف عند الله مثل دم الشهيد، أطيب عند الله من ريح المسك، ومثل خَلوف فم الصائم فهو أطيب عند الله من ريح المسك، ولذلك فإن هذا الجفاف نحافظ عليه بعد الذكر حتى تأتي الواردات.

أسرع، حَصّل، اذكر الله سبحانه وتعالى حتى يُقال عنك إنك مجنون (أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ)؛ لأن هذا هو الذي يُنير القلوب ويجعل اللسان مع الجنان مع الجسم بأركانه خاضعا لله سبحانه وتعالى.

س٦: إذا كان المريد عاجزا عن فهم أحواله فلا يستطيع التفريق إذا كان حال القبض أو البسط مثلا مرتبطا بالذكر أم بأمور الدنيا؟

الإجابة: لا تلتفت لهذا التفتيش، دعها واتركها، لا تلتفت حتى إلى حالك، ولا تركز معه؛ لأن هذا نوع من أنواع الاهتمام بغير المقصود، فالمقصود هو الله. فإذا ورد قبض رضينا بالقبض، أو ورد بسط رضينا بالبسط، ونلتذ أن هذا من عند الله سبحانه وتعالى في الحالة واللحظة التي نعيشها، لا نكره قبضا ولا نرغب بسطا، وإنما نحن نعبد ربنا، وما يجريه على أجسادنا وقلوبنا وأرواحنا ونفوسنا فليجريه سبحانه وتعالى ونحن في رضا كامل [رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ] (التوبة: ١٠٠)، ارض عن ربك.

س٧: هل بانتهاء المريد من ورد التمهيد والدخول في الأسماء الأصول والفروع وأسماء الله الحسنى يكون تغلب على نفسه الأمارة؟

الإجابة: المفروض أن هذه الأشياء لها آثار، فإذا تمت هذه الآثار فإنه يكون قد ترقى، لكننا لا نلتفت إلى هذا الترقي ولا نجعله غايتنا، نحن نذكر لأن الله يحب منا الذكر، نحن نذكر عبادةً لله، لا من أجل أن نترقى، ولا أن ننتقل من مرحلة إلى مرحلة، ولا أن نقضي على أنفسنا الأمارة أو اللوامة، فهذا سيتم عندما يريد الله له التمام.

يجب علينا دائما أن نتذكر هذا الذي نقوله؛ لأنه مفتاح لكل شيء، وهو معنى" لا حول ولا قوة إلا بالله"، أي لا فاعل في هذا الكون إلا الله، وأننا في معية الله سبحانه وتعالى، فنحن في مأمن، حتى لو تواردت علينا الأفعال والأحوال والتقلبات فنحن في مأمن، لأننا في معية الله سبحانه وتعالى.

ومن أجل هذا فلا تطلب مِنْ ذِكرك الترقي ولا تلتفت إلى نفسك وتقول هل: أنا أصبحت في درجه أخرى؟ إذاً أنت تعبد هذه الدرجة، بمعنى أنك تسعى وأن مقصودك هو هذه الدرجة، ونحن نريد أن يكون مقصودنا هو الله، لا رب سواه، هو رب العالمين.

ولذلك فنحن نقوم بهذه الافعال إما عباده لله ونريد العبادة، وإما تدريب وتربية من أجل الترقي وهذا أدون من العبادة، ونحن نريد العبادة، وإما أن يكون هذا من باب العادة ونحن لا نريد أن يكون من باب العادة حتى لو كانت عادة طيبة.

ومن هنا نجد كلام أبي يزيد البسطامي عندما سألوه: ما لنا نعبد ولا نشعر بلذة العبادة؟! فقال: عبدتم العبادة، أي جعلتم العبادة هي المقصد.

مثلاً أنا صليت كم ركعه؟، أنا ذكرت كم اسم؟، أنا الآن في أي مرحلة؟، قربني يا شيخ إليك حتى أتمتع بالجلوس تحت قدميك، إلى آخر هذه الرغبات، فهي ما زالت رغبات، ولكن المقصود أن نحرر أنفسنا وندربها على هذا التحرير وأن نتعود عليه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

إذاً كل هذه الأسئلة تدور على معنى واحد، وهو: "أنه يجب علينا أن ندرك بعمق معنى "لا حول ولا قوه الا بالله"، حتى ننجو ونترقى ونلتذ بالعبادة ونشعر بآثار هذه العبادة من مقاومة النفس الأمارة والترقية من اللوامة إلى الملهمة إلى الراضية إلى المرضية إلى المطمئنة إلى الكاملة، لكن هذا ليس هو مقصودنا، ليس هو مرادنا، وإنما مرادنا هو الله ومقصودنا هو الله، والحمد لله رب العالمين .



من فعاليات الطريقة الصديقية بإندونيسيا

زيارة الأولياء الصالحين ولقد بدأنا بمدد مولانا الإمام رضي الله تعالي عنه وأرضاه بزيارة مقام الولي الشهير بصاحب الكرامة سليل أهل البيت سيدي الحبيب حسين بن أبي بكر العيدروس رضي الله تعالي عنه وأرضاه .






BSI



مجلس قراءة دلائل الخيرات بالساحة الصديقية الشاذلية
إندونيسيا كل يوم الجمعه صباحاً



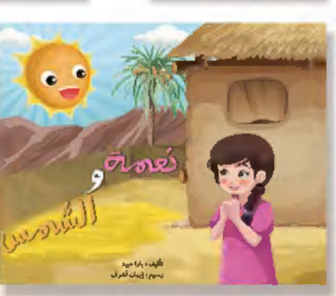
أحدث الاصدارات

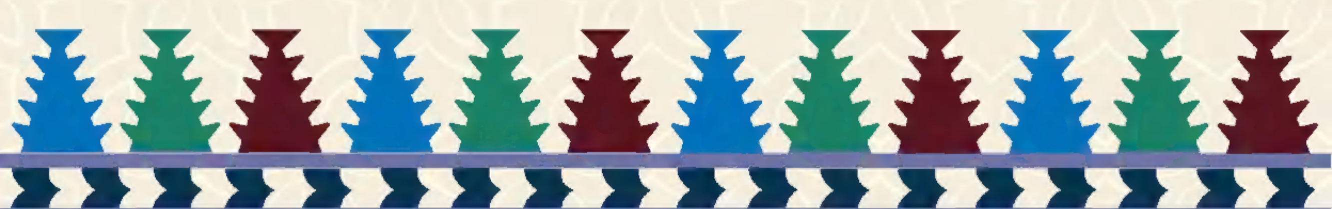












يـا مـن تعـاظـم حتى رقّ مـعنــاه
ولا تـــردّى رداء الكِبْـــرِ إلا هُـــو
تــاهــو بحبــك أقــوام وأنــت لهــم
نعم الحبيــب وإن هــاموا وإن تاهوا
ولي حبيـــب عـــزيـــز لا أبــوح بــه
أخشى فضيحة وجهي يــوم ألـقاه
قالوا أتنسى الذي تهـوى فقلت لهم
يا قوم من هو روحي كيف أنساه
ما غاب عنّي ولكن لست أبصـره
إلا وقـلت جهـــارًا قـــل هـــو الله

الإمام الرفاعي



صور الكود للدخول
لموقع الصديقيّة



